الملك عبد الله : سيرة عطـــ

لا يُغيِّب الموت من عظماء الناس سوى أجسادهم وشخوصهم، بينما تبقى سِيَرُهم مسطورة في التاريخ الإنساني، وتظل ذكراهم طرية ندية، خالدة في عقول وقلوب محبيهم، يذكرونها متى رددوا أسماء أصحابها؛ وكذلك تبقى أقوالهم ملء الأسماع والآذان، كما تبقى أعمالهم شاخصة للعيان، مذكرة بما كانوا عليه من إخلاص وعلو همة، وعطاء ووفاء وحكمة ...

وهكذا كان شأن فقيد الأمة، وراعي نهضتها، ومفجر طاقات أبنائها، وباعث الثقة والطمأنينة في قلوبهم .. خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله)، صاحب السيرة العطرة والمسيرة الموفقة .. سليل الوفاء والنبل والأصالة، ووارث الإباء والشمم والشهامة .. مثل الرجولة والنخوة والفزعة والإنسانية، ورمز التواضع والتسامح والبساطة والتلقائية .. صاحب الرؤى الثاقبة والآراء الصائبة والقرارات الحاسمة والمواقف الحازمة .. القائد الذي أخلص لله عمله فأحبه، وحبب فيه شعبه، وبذل لعزة الوطن وسعادة المواطن جهده ووقته، فافتخر به كل أبناء وطنه، وكانت قلوبهم وعقولهم موطنه ومحله .. الحاكم الذي استنهض في شعبه القدرة على تحقيق الحلم وبلوغ الأمل بالجهد والجد والعمل، فشمَّر الشعب عن سواعده ليبني معه المشاريع الوطنية الكبرى، التي فاقت بعظمتها كل التصورات، وتخطت بسرعة إنجازها كل القيود والمعوقات؛ لتقف شامخة في كل بقعة من بقاع الوطن، شاهدة له (يرحمه الله) بأنه بذل غاية جهده لأمن واستقرار وإسعاد شعبه، ورقي وتحضر وازدهار وطنه.

وإذا كنا ودعنا جسد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله)، بنفوس حسيرة وقلوب حزينة وعيون دامعة، فإن سيرته العطرة ومسيرته الموفقة ـ التي سنتناولها بإيجاز على الصفحات التالية ـ ستسطر بحروف من نور في تاريخ المملكة، بل وفي تاريخ العالم أجمع؛ وستبقى ذكراه خالدة في ذاكرتنا، شاخصة في عيوننا، لَنشتَمَّ من السيرة أريجها الفواح، فنسعد به نفساً، ونتخذ منه قدوة ونهجاً، ونقرأ في المسيرة خطوطها العريضة، ونستوضح معالمها الرشيدة، لنسترشد بما فيها من دروس وعبر وأفكار وحِكَم، ونحن نصطف خلف قيادتنا الجديدة لبناء الوطن واستشراف المستقبل الزاهر (بإذن الله).

يوسف كامل خطاب

ـــــرة .. ومسـيرة موفـقـة

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

السيرة العطرة

في سير العظماء والنبلاء خصال وفِكَر، ودروس وعبر، وهوايات ومهارات، وطبائع وعادات، تستوقف الكتاب والمؤلفين، وتستلفت الموجهين والمربيين، ليستقرؤوها، ويستنبطوا ما فيها، ويسلطوا عليها الأضواء، ويجلُّوها لمن يرغب الاستفادة، وينشد المعرفة والاستزادة، ويبحث عن نماذج للاقتفاء والاقتداء.

ولا شك في أن سيرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - منذ مولده، وحتى وفاته (يرحمه الله) - واحدة من تلك السير الحافلة بالكثير من السجايا والمناقب والصفات - الموروثة والمكتسبة - التي هذَّبتها النشأة المتميِّزة في بيت عربي أصيل، بين أسرة كريمة، من أعرق أسر شبه الجزيرة العربية ديناً وخلقاً، وشرفاً ونسباً؛ وصقلتها المعارف والتجارب والخبرات، التي اكتسبها على مدى سنوات عمره من علاقاته المتنوعة، التي أقامها مع المحيطين به في الداخل والخارج، ومن مناصبه المتعددة، التي شغلها في موقع المسؤولية، والتي بلغت قمتها بتوليه الحكم.

فكل جانب من جوانب تلك السيرة العطرة ما يُستفاد منه ويُقتدى به .. ففي هواياته ومهارته القدوة لمن يرغب أن يتعلم مقومات الجرأة والجسارة والإقدام، ويوطن النفس على الانضباط والاتزان والالتزام ..

وفي علاقاته - مع: والديه، وإخوانه، وأبنائه، وشعبه، وأقرانه من ملوك ورؤساء وقادة العالم - دروس وعبر لمن ينشد الصدق والارتقاء والود والتلاحم والصفاء في العلاقات الإنسانية ..

وفي تجاربه وخبراته معين لا ينضب لمن يتطلَّع إلى النجاح في الإدارة والقيادة، وكسب ثقة الناس ومحبتهم، وحثهم على البذل والعطاء وإخلاص الأداء..

إنها بعض الدروس التي تطالعنا كعناوين رئيسة في سجلّ فقيد الأمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله)، نضعها بين يدي القارىء الكريم، ليجد فيها الفائدة المرجوة والقدوة الحسنة.

الملك عبد الله بن عبد العزيز

بشارة الخير

ولد الملك عبد الله بن عبد العزيز في قصر الحكم بمدينة الرياض عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، لأسرة عربية أصيلة عريقة، تضرب بجذورها في شبه الجزيرة العربية، وهي أسرة كتبت تاريخها بمداد من ذهب على صفحات تاريخ المنطقة وجغرافيتها، بما أسسه أجداده من آل سعود من دول متعاقبة، كان آخرها الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية) التي أسسها والده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (طيَّب الله ثراه)، فهو الابن الثاني عشر من أبناء موحِّد المملكة العربية السعودية ومؤسسها، وأمه هي الأميرة فهدة بنت العاصي بن شريم الشمري، كريمة الأمير العاصي بن كليب بن حمدان بن شريم، أحد أشهر فرسان الصحراء، وأحد شيوخ قبائل شمر المعروفين بالكرم والنبل والشجاعة.

وقد تزامن وقت ولادته مع دخول جيش والده الملك عبد العزيز مكة المكرمة بملابس الإحرام، ينادون بالأمان لكل من فيها، ويتسلمون زمام الأمور بسلام، ودون إراقة قطرة دم؛ ما جعل مولده بشارة خير لوالده.

نشأة عربية أصيلة

نشأ الملك عبد الله في كنف والده نشأة عربية أصيلة، في عصر لا يعرف عن الرفاهية شيئاً، ولا ينال من الترف إلا القليل النُذر؛ وتربَّى (يرحمه الله) في بيت فرض على كل من ولد فيه من الأولاد أن يكون ديِّناً ملتزماً، صالحاً متزناً، جلداً صبوراً، مقداماً جسوراً، عالي الهمة، قوي الإرادة، ملماً بما يدور حوله من أحداث، كريماً مع من يتعامل معهم من أناس، عارفاً بأنسابهم و طبا عهم ، مدركاً لعاداتهم وتقاليدهم ..... فتلكم هي صفات ربُّ البيت الملك عبد العزيز وخصاله، التي كان يُنشِّئ عليها أبناءه وصغاره، ومنهم الملك عبدالله (يرحمه الله)، الذي ورث عن أبيه أفضل الصفات وأنبل المناقب والعادات.

تلميذ في مدرسة عبد العزيز

تلقى الملك عبد الله (يرحمه الله) تعليمه الأوَّلي على يدي نخبة من المعلمين والمربين الذين تم اختيارهم بعناية من قبل والده، ليقوموا بتعليمه مع غيره من إخوانه الأمراء في غرفة واسعة خصصت لهذا الأمر في قصر الحكم بالرياض، وفيها تعلَّم بعض دروس العقيدة، وحفظ ما تيسر له أن يحفظ من القرآن والأحاديث النبوية الشريفة، فضلاً عن مبادئ اللغة والأدب ومبادئ الحساب... وغيرها من المعارف الأساسية التي لا بد للنشئ من معرفتها والإلمام بها.

وكانت غرفة الدراسة بقصر المربع هي المدرسة الصغرى لتعليم الملك عبدالله (يرحمه الله)، أما المدرسة الكبرى التي استقى منها قيمه ومبادئه، وكوَّن بين جنباتها قدراته ومداركه، وأَلَمَّ في ساحاتها بعلومه ومعارفه، فكانت مجالس أبيه الملك عبد العزيز (طيَّب الله ثراه)، التي يستقبل فيها ضيوفه وزائريه من العلماء والأدباء وأهل الرأي والفكر؛ وعادة ما كانت هذه المجالس اليومية تبدأ بآيات من الذكر الحكيم، تليها بعض دروس التفسير، وقبس من سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ليدور الحديث بعد ذلك في الشؤون العامة التي تخصُّ المملكة وغيرها من دول العالم، سياسية كانت أو اقتصادية أو أمنية أو عسكرية أو غير ذلك.

وكان الملك عبد العزيز (طيَّب الله ثراه) حريصاً على حضور أبنائه لتلك المجالس، وسماع ما يذاع فيها من أخبار، وما يُتداول بين حاضريها من نقاش وحوار؛ بل كان يتعمد في بعض الأحيان أن يوجه بعض الأحاديث إلى موضوعات بعينها، ليلفت إليها أنظار أبنائه ويثري ثقافتهم بمعرفتها، وخصوصاً ما يتعلق منها بانتصار الأمم وهزائمها، ونشأة الحضارات وزوالها، وأسباب ضعف المسلمين في العصر الحاضر وتعرضهم للانكسار بعد خضوع بلادهم للاحتلال، وما أحدثته الحربين العالميتين الأولى والثانية من تغييرات إقليمية ودولية، وما يحيط بالمملكة العربية السعودية من مخاطر جراء هذه التغييرات .... إلى غير ذلك من القضايا التاريخية والمعاصرة التي كان الملك عبد العزيز آل سعود (طيب الله ثراه) حريصاً على معرفة أبنائه لها.

الملك عبد الله بن عبد العزيز

الابن البار

تأثر الملك عبد الله (يرحمه الله) في جميع مراحل حياته بتلك النشأة الصالحة، التي رسَّخت فيه سجاياه الفطرية وهذَّبتها، وأكسبته المزيد والحميد من الصفات التي اشتهر بها بين أهله وخاصته، ابناً وأخاً وأباً، أو بين شعبه ورعيته، والداً وقائداً ورائداً، أو بين أقرانه من قادة العالم، صديقاً ومعيناً وناصحاً.. فقد كان (يرحمه الله) محكوماً في جميع علاقاته الخاصة والعامة بضوابط الدين الحنيف، ملتزماً بما جاء في الكتاب والسنة من مكارم الأخلاق السلوك الحصيف؛ فقد كان أسوة في البر بوالديه، فما أكثر ما يذكرهما في أقواله، و يعترف لهما بفضلهما عليه، وبما اكتسبه منهما ـ وخصوصاً والده الملك عبد العزيز (طيَّب الله ثراه) ـ من خصال حسنة وصفات حميدة.

وقد تجسد بر فقيد الأمة بوالديه فيما شيَّده من مشاريع خيرية واهباً أجرها لهما، ومن أبرزها: المسجد الذي بناه إلى جوار قصره بمدينة الرياض وأطلق عليه اسم والدته الأميرة فهدة، والمؤسسة الخيرية التي تحمل اسمه مؤسساً، واسم والديه منتفعين من أجرها، وهي: (مؤسسة الملك عبد الله بن عبد العزيز لوالديه للإسكان التنموي).

كما تجسد في حرصه على أن يطلق اسميهما على كثير من المشاريع الوطنية التي أُنجزت في عهده.

فقد أطلق اسم والده على أكبر المدن الطبية وهي: (مدينة الملك عبد العزيز الطبية) بالمملكة، وأطلق اسم والدته على مركز الحروق والعناية المركزة بها.

رجل الوفاء والصدق

اشتهر فقيد الأمة الملك عبد الله (يرحمه الله) بالوفاء لكل من يتعامل معه؛ فهو الوفيُّ لدينه وربه، ولأسرته وأهله، ولشعبه ووطنه، ولأمته العربية والإسلامية، ولأصدقائه وأقرانه من قادة العالم .. والحديث عن وفائه في كل جانب من هذه الجوانب يحتاج إلى مؤلفات كاملة، ولذلك سنشير هنا إلى أحد هذه الجوانب، وهو وفاؤه لمن سبقه إلى حكم البلاد من إخوانه الملوك، حيث رفض (يرحمه الله) ـ عندما كان ولياً لعهد أخيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (يرحمه الله) ـ أن يطلق اسمه على أيٍّ من مؤسسات الدولة، بل أصرَّ على أن تحمل أسماء أسلافه.

أما صدقه، فلم يُعرَف عنه (يرحمه الله)، في حياته كلّها، أنّه كذب على أحد، أو نافق أحداً، أو غدر صديقاً، أو نقض عهداً، بل كان صادقا واضحاً صريحاً في جميع مواقفه، مترفعاً حتى عن اللجوء إلى استخدام ما تسمح به الدبلوماسية من مواءمات ومجاملات في العلاقات السياسية، فهو رجل مبادئ والتزام خلقيّ، ومنهما يستمد مواقفه وعلاقاته السياسية، ففي حديث له عن علاقاته بالولايات المتحدة، لم يتردد (يرحمه الله) في التصريح بقوله:

«اتُهمتُ بأنني منتقد للولايات المتحدة الأمريكية، فلا أُبالي؛ وردي: اسألوا الرؤساء الأمريكان الذين تعاملوا معي جميعاً.. اسألوهم عن آرائي تجاه أمريكا؛ ودعوني أسأل: إذا كان لديك صديق، فهل تفضله أميناً، صادقاً، وصريحاً، يشير إلى نقاط في حياتك يجب أن تغيِّرها، أم تفضله صديقاً يسايرك في كل شيء تقوله؟!».

صقر العروبة

ومثلما كانت الفروسية من الرياضات المحببة إلى نفسه ، كذلك كان (يرحمه الله) يهوى القنص والصيد، وكثيراً ما قضى بعض أيام راحته في شمال المملكة أو جنوبها، باحثاً في صحاريها عن طيور الحبارى ليقنصها بالصقور، تلك الهواية التي كان يحبها ويمارسها منذ أوائل شبابه وحتى أواخر عمره.

وكانت تلك الرحلات البرية التي يقضيها (يرحمه الله) في الصحراء تكسبه - في مراحل حياته الأولى - المزيد من الصفات الحميدة: كالبساطة والشفافية والانفتاح والأريحية؛ فضلاً عن رباطة الجأش والمروءة والجلد

والصبر والحذر من المباغتة، والبعد عن المناورة والخداع والازدواجية في القول والعمل ... وغيرها من الصفات التي تفرضها البيئة الصحراوية بطبيعتها المنفتحة والقاسية على من يعيش فيها.

فـــارس العرب

ومع الاسترسال في سيرة الفقيد العطـرة، تستوقفنا هواياته والرياضات التي كان يمارسها في شبابه وصباه، لنعلم أنه على الرغم مما كان في نشأته ومراحل حياته الأولى من جدّية وانتظام، وانضباط والتزام، فإنه لم يكن يعدم بعضاً من الوقت يقضيه في الصحراء، خالياً بنفسه للتفكير والتأمل، أو مرافقاً لوالده وإخوانه، ليمارس هواية الفروسية وركوب الخيل، التي طالما سمع العلماء في مجلس والده يخصونها ـ في دروس التفسير والسنة النبوية ـ بالعديد من المزايا.

وانطلاقاً من هذه الثوابت الدينية، وتأثراً بالبيئة المحيطة التي كانت تعتبر إتقان الفروسية دليلاً على الشجاعة والرجولة، فضلاً عن أنها كانت تضمُّ خيرة فرسان العرب ـ آنذاك ـ وفي مقدمتهم والده الملك عبد العزيز (طيب الله ثراه)، وجده لأمه الأمير العاصي بن شريم، وخاله الأمير مطني بن العاصي بن شريم، وأخيه سمو الأمير تركي بن عبد العزيز ...وغيرهم من الفرسان؛ أحب الملك عبد الله (يرحمه الله) رياضة الفروسية، وأقبل عليها، فأجادها وتميَّز فيها منذ صباه، وأظهر في ركوب الخيل وسياستها جرأة وشجاعة وإقداماً، نال بها إعجاب والده وإخوانه؛ وظل (يرحمه الله) طيلة حياته محبّاً للخيل.

واقتناعاً منه بأهمية الفروسية ودورها في بناء الشخصية السوية القوية، كان (يرحمه الله) يوصي الآباء والمربين بتنشئة أبنائهم عليها، باعتبارها السبيل إلى البطولة والرجولة.

وكان (يرحمه الله) مثلاً وقدوةً فيما يدعو إليه، فقد غرس في أبنائه الفروسية وحبَّ الخيل، وعن ذلك يقول نجله صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد الله، في حوار سابق ـ أجرته معه مجلة كلية الملك خالد العسكرية ـ : «لا أذيع سراً عندما أقول إن تعلُّقي بالفروسية منذ عهد الطفولة يعود إلى مولاي خادم الحرمين الشريفين (يحفظه الله)، حيث غرس فينا حبَّ الخيل والحرص على اقتنائها ورعايتها، ونمَّى لدينا ممارسة رياضة الفروسية وإتقانها». وقد امتد هذا الغراس إلى جيل الأحفاد، حيث يُعدُّ حفيده صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن متعب بن عبد الله بن عبد العزيز، أحد فرسان المملكة وممثليها في المسابقات الدولية.

ولم تتوقف مساعي الملك عبد الله (يرحمه الله) لنشر رياضة الفروسية بين شباب المملكة عند حدود الدعوة بالقول، ولم يقتصر تشجيعه لها على أبنائه وأحفاده، بل سعى منذ وقت مبكر ـ مع بعض الأمراء والشيوخ المحبين لتلك الرياضة ـ إلى تعميمها من خلال إنشاء ناد مخصص للفروسية بالمملكة، ليعيد لتلك الرياضة العربية الأصيلة أمجادها التليدة وأيامها البطولية العتيدة؛ واستجابت الدولة حينها لذلك المسعى النبيل، ورخَّصت لإنشاء نادي الفروسية بحي الملز بمدينة الرياض، سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، وتم تعيين الملك عبد الله (يرحمه الله) رئيساً لمجلس إدارته، الذي جمع حينها صفوة من الأمراء والشيوخ المهتمين بالفروسية.

حبيب الشعب

اشتهر الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) ببساطته وحبه لعامة الناس من أبناء الشعب السعودي، وقد تكررت صور احتكاكه بهم في أماكن وجودهم من منازل ومستشفيات وأسواق ... ونحوها، كما تكررت زياراته للمرضى والمصابين في مستشفيات المملكة للاطمئنان على أحوالهم الصحية، وخصوصاً مصابي العمليات الإرهابية التي شهدتها المملكة خلال العقد الماضي وأوائل هذا العقد؛ أما زيارته لعامة الناس في أسواقهم فقد تكررت لأكثر من مرة، سواء عندما كان ولياً للعهد، أو بعدما تولى (يرحمه الله) مقاليد الحكم، فعندما زار مدينة جدة في جمادى الأولى ١٤٢١هـ، قام بجولة تفقدية في بعض المرافق

السياحية والمراكز التجارية، وعندما دخل أحد المراكز التجارية وأخذ يتحدث مع رواده، الذين التفوا حوله، وأخذوا يتبادلون معه السلام والحوار بحماس وحب وحرارة شديدة، وعندما خشي الحرس الخاص على أمنه الشخصي من هذا الزحام الشديد، وقاموا بإفساح الطريق أمامه هو ومرافقيه ليستطيعوا السير والخروج من السوق، أمر (يرحمه الله) الحرس بأن يتركوهم وما شاءوا، وألا يمنعوهم من الاقتراب منه بقوله: «اتركوهم .. لا تمنعوا الناس من الاقتراب .. ابتعدوا أنتم .. خلُّوهم يقولوا اللي في خاطرهم».

وتحتفظ ذاكرة الشعب السعودي بأسره، فضلاً عمن شاركهم المناسبة من مقيمين، بمشاهد زيارته (يرحمه الله) للمدينة المنورة وتجوله بين المواطنين في المنطقة المركزية، وملاطفته لهم في بساطة وأريحية، وسؤالهم عن أحوالهم، وعن أسعار السلع، وسؤال زوار المسجد النبوي عمَّا يقدم لهم من خدمات ومدى رضاهم عنها؛ وصولاً لأروع هذه المشاهد وأكثرها صدقية وتلقائية وعفوية، وهو مشهد تناوله (يرحمه الله) مع جمع من أبنائه المواطنين وبعض الإخوة المقيمين أكلة شعبية في أحد المطاعم، التي كان أصحابها يتسابقون لتقديم ما لديهم من طعام إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) ليتذوقه!

ولم تكن بساطته (يرحمه الله)، وحبه لمخالطة عامة الناس والحديث إليهم والتلطف معهم تفارقه، حتى وهو خارج المملكة، كما في زياراته للولايات المتحدة الأمريكية، وقد استلفتت هذه العلاقة المتميِّزة بالبساطة من قِبَل الملك عبد الله (يرحمه الله) تجاه شعبه، المتابعين للشأن السعودي، سواءً من داخل المملكة أو خارجها؛ فداخلياً، حفلت زيارات الفقيد (يرحمه الله) لمناطق المملكة ولقاءاته بالمواطنين مشاهد حية لتلك العلاقة التي تفيض تواضعاً وبساطة، وعفوية وتلقائية، وحباً وتعاطفاً، وتلاحماً وتراحماً، ووفاء وولاءً؛ وخارجياً، سيلحظ من يقرأ ما كُتب عن تلك العلاقة من قبل المسؤولين أو الصحفيين الأجانب حالة من الإعجاب والانبهار بتلك العلاقة المتميزة والنادرة في شكلها ومضمونها، ومنهم النائب السابق في الكونجرس الأمريكي (بول فندلي) الذي عبّر عن تلك العلاقة بقوله: «لقد أثار الملك عبد الله بن عبد العزيز إعجابي به قبل وقت طويل من توليه الحكم، ففي كل المرات الست التي زرت فيها المملكة، كان الملك عبد الله يبهرني بتصرفاته البسيطة، ولفتاته الإنسانية، وإشعاره لمن حوله بأنه مجرد واحد من عامة الناس». وكذلك الصحفي الأمريكي (أنشين مولاي) - أحد الباحثين المتخصصين في الشؤون السياسية الشرق أوسطية بمؤسسة أمريكا الجديدة - الذي رصد مشاعر الشعب السعودي عندما تولى خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) الحكم، وصورها بقوله - : «إن خادم الحرمين الشريفين بوصوله إلى الملك قد أشاع نوعاً من الشعور بالأمل، وبدأ السعوديون يشعرون بأمل في المستقبل، وهم يسمونه: ملك الشعب».

مطوّر الحرس الوطني

واستفادةً مما لديه من معارف وخبرات، وخصوصاً ما يتعلق منها بشؤون القبائل ورجال البادية، أسند إليه أخوه الملك سعود بن عبد العزيز (يرحمهما الله) - في سنة ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م - رئاسة الحرس الوطني، الذي

كان يضم في مطلع تكوينه آنذاك أبناء الرجال الذين عملوا وأسهموا مع قائدهم الملك عبد العزيز (طيَّب الله ثراه) في توحيد وبناء المملكة العربية السعودية. وكان هذا التكليف فرصة لإبراز ما لديه (يرحمه الله) من مهارات وقدرات قيادية وإدارية، واستثمار معرفته الواسعة بطبائع رجال البادية وما يتميزون به من ذكاء وبداهة، ورجولة وصلابة، وحب وولاء لقادتهم وأوطانهم؛ فوظف ذلك كله لتطوير الحرس الوطني وتحديثه، منطلقاً من استراتيجية واضحة تستهدف بناء الكفاءات البشرية وتطويرها، والارتقاء بمستواها الاجتماعي والصحي والتعليمي والثقافي، بالتوازي مع تنفيذ خطط وبرامج التطوير الأخرى، تسليحية كانت أو تدريبية أو تنظيمية أو عمرانية.

وقد لخَّص (يرحمه الله) ملامح هذه الاستراتيجية التطويرية في قوله:

الملك عبد الله بن عبد العزيز

«الحرس الوطني سيسير في كل اتجاه: عسكري واجتماعي وتعليمي وفني، كلما وجدنا الظروف مواتية والفرصة سانحة، فالعالم يتحرك ويسير في اتجاه التغيرات الكبرى. نحن في هذا العالم نتابع ما يجري، ونتفهم مشكلاته، ونأخذ منه ما نرى أنه مفيد، ونرفض ونتحفظ على كل شيء مضر بنا وبمعتقداتنا وبأصالتنا. لذلك، ستكون اتجاهاتنا في الحرس الوطني سائرة وفق ما أشرنا إليه.. نعم سنطور مفهوم الإنسان وفكره، مثلما نطور سلاحه ومفهومه العسكري».

وتأسيساً على هذه الاستراتيجية الواضحة والشاملة والطموحة، استطاع الملك عبد الله (يرحمه الله) ـ في غضون سنوات قليلة أن يجعل من الحرس الوطني مؤسسة عسكرية حضارية شامخة، تقف على أهبة الاستعداد والجاهزية مع شقيقاتها من المؤسسات العسكرية والأمنية لحماية البلاد والذود عنها.

وظل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) يتولى رئاسة الحرس الوطني حتى ١١ ذو الحجة ١٤٣١ هـ، الموافق ١٧ نوفمبر ٢٠١٠م، حيث انتقلت تلك المسؤولية إلى صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد الله، فواصل مسيرة التطوير بالحرس الوطني إلى أن أصبح وزارة من وزارات الدولة، وعيّن سموه وزيراً لها.

المسؤول الوطني الذي قبل التحدي

وتوسيعاً لنطاق مسؤولياته ومشاركته في إدارة شؤون الدولة، كلّف من قبل أخيه الملك فيصل (يرحمهما الله) ليكون عضواً في (الهيئة العليا للشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية)، وهي أعلى هيئة في الدولة آنذاك، وذلك إلى جانب رئاسته للحرس الوطني. وكان (يرحمه الله) يستشعر أهمية ما كلّف به، ويهيئ نفسه للقيام بما يتطلبه هذا المنصب الحساس من قدرة على تحمل تلك المسؤولية الوطنية؛ وهو ما عبّر عنه بقوله: «شعرت بثقل المسؤولية، فدورنا لم يكن محلياً، بل عربياً وإسلامياً ودولياً؛ هذا المنصب فرض علي أشياء كثيرة، فوطني وضعني في مواجهة المسؤولية بشكل رسمي ومعلن، وعليَّ أن أقبل تحديات هذه المسؤولية».

النائب الثاني

في سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، اختير فقيد الأمة الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) ليكون نائبا ثانيا لرئيس مجلس الوزراء، إلى جانب رئاسته للحرس الوطني، لتتضاعف مسؤولياته الوطنية، وتتسع دائرة مشاركته في الحكم.

ولي العهد

في يوم الأحد ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ، الموافق ١٣ يونيو١٩٨٢م، بويع (يرحمه الله) ولياً للعهد من قبل أفراد الأسرة المالكة والعلماء ووجهاء البلاد وعامة الشعب السعودي. وفي مساء اليوم ذاته صدر أمر ملكي بتعيينه نائبا لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطني، بالإضافة إلى ولاية العهد.

في عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، قام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (يرحمه الله) بعدد من الرحلات العلاجية، فأصدر أمره الكريم بإنابة سمو ولي عهده بإدارة شؤون البلاد، وقد أبدى الفقيد (يرحمه الله) خلال هذه الفترة قدرة عالية على تحمل الأمانة، و تميُّزاً واضحاً في إدارة شؤون البلاد، وهو ما يظهر جلياً فيما كان يقوم به من أعمال وما يصدره (يرحمه الله) من تعميمات إدارية للمسؤولين، يحثهم فيها على إتقان العمل، وتحسين الأداء الإداري، وعدم التباطؤ في تقديم الخدمات للمواطنين.

وتؤكد مضامين التعاميم التي أصدرها، ما سبق أن أشرنا إليه من

أن فقيد الأمة (يرحمه الله)، قد تأثر تأثراً كبيراً بما تلقاه في مدرسة، بل جامعة، والده الملك عبد العزيز (طيب الله ثراه) من مفاهيم عن السياسة والحكم، وما استقاه فيها من مبادئ وقيم إسلامية عظيمة.

ملك البلاد

بعد وفاة أخيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (يرحمه الله) ـ في ٢٦ / ٦ / ١٤٢٦هـ، الموافق للأول من شهر أغسطس ٢٠٠٥م ـ تمت مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) ملكا على البلاد، بالإضافة لشغل منصب رئيس مجلس الوزراء، تبعا لأحكام نظام الحكم في المملكة العربية السعودية القاضية بأن يكون الملك رئيسًا للوزراء.

المسيرة الموفقة

مثلما أنعم الله تعالى على خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) بالنشأة الصالحة، والتربية المثلى، والصفات النبيلة، والإعداد والتأهيل المميز لتولّي عظائم الأمور وتحمُّل أثقل المسؤوليات، أنعم عليه سبحانه بنعمة التوفيق والسداد فيما أعدَّه من خطط، وما أقدم عليه من أعمال للنهوض بشعبه ووطنه، فقد شهدت المملكة العربية السعودية في عهده (يرحمه الله) العديد من المنجزات التنموية العملاقة في مختلف القطاعات، وانتشرت في جميع مناطق المملكة على امتداد مساحتها الشاسعة، وشكَّلت في مجملها إنجازات جليلة، تميزت بالشمولية والتكامل في بناء الوطن وتنميته، مما صعَّد من وضع المملكة ومكانتها بين دول العالم المتقدمة؛ كما لازمه التوفيق في الكثير من الجهود التي بذلها من أجل أمته العربية والإسلامية، موحداً لصف قادتها، ومدافعاً عن قضاياها في المحافل الإقليمية والدولية، وداعماً لشعوبها الشقيقة في النوازل والنكبات والأزمات؛ وكذلك لازمه التوفيق فيما بذله من جهد لنشر ثقافة الحوار والتفاهم والتعاون بين أصحاب الحضارات والثقافات والديانات المختلفة، تمهيداً لإحلال السلام والوئام محل الصراع والصدام؛ مما جعله أبرز قادة العالم في الألفية الثالثة، وأكترهم حصولاً على المراكز الأولى في التقويمات التي تجريها - سنوياً - مراكز استطلاع الرأي الإقليمية والدولية..

ومع الخطوط العريضة والمعالم الشامخة والمنجزات العملاقة لهذه المسيرة الموفقة، ستكون وقفاتنا في الصفحات التالية.

الملك عبد الله بن عبد العزيز

خادم الحرمين الشريفين

«نحن لا نعتز بشيء بعد الإسلام مثل اعتزازنا بخدمة الحرمين الشريفين، فهذه الخدمة عندي لا يعادلها أي مجد من أمجاد الدنيا الزائلة، وإنني أدعو الله ليل نهار أن يعينني على القيام بها وعلى خدمة الشعب السعودي الأبي».

بهذه الكلمات الخالدة، عبَّر خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) عن مشاعره تجاه الحرمين الشريفين ، حيث لم يكن يعتز ويفتخر بلقب من الألقاب الكثيرة التي أطلقت عليه مثلما كان يعتز ويفتخر بلقب: (خادم الحرمين الشريفين)، ولم يكن (يرحمه الله) يسعد ويبتهج عندما يضع حجر أساس لمشروع وطني أو يفتتحه مثلما كان يسعد ويبتهج وهو يفعل ذلك في الحرمين الشريفين والمدينتين المقدستين ـ مكة المكرمة والمدينة المنورة ـ ذلك لأن خدمة الحرمين الشريفين وتوفير سبل الراحة والهدوء لحجاج بيت الله والمعتمرين وزوار مسجد رسول الله كانت ومازالت نهجا للملوك الكرام من الأسرة الحاكمة، فضلاً عن كونها إحدى واجبات الدولة، التي تضمنها النظام الأساسي للحكم في مادته الرابعة والعشرين، حيث نصَّ على أن: «تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما، وتوفر الأمن والرعاية لقاصديهما، بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة».

وقد بدأ اهتمام الملك عبد الله (يرحمه الله) بالحرمين الشريفين والمدينتين المقدستين منذ توليه لمهام الحكم، حيث بدأ عهده الميمون بزيارتين: إحداهما لمكة المكرمة ، والثانية: للمدينة المنورة وأعلن أثناء الزيارة عن عزمه على تنفيذ مشاريع عملاقة في المدينتين، وتوسعة غير مسبوقة للحرمين الشريفين. وعلى مدى سنوات حكمه بالكامل، كانت المشاريع تتعدد والإنجازات تتوالى تنفيذا لأوامره باختصار مراحل التنفيذ، ومواصلة العمل وعدم توقفه ليل نهار؛ فلم يكن يمر عام إلا ويسعد المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بمنجز جديد في المدينتين والحرمين، ليضاعف من راحتهم وطمأنينتهم أثناء أداء مناسكهم ـ حجاً وعمرة ـ وزيارتهم لمدينة نبيهم (صلى الله عليه وسلم) للسلام عليه والصلاة في مسجده والاطلاع على ما تضمه المدينة من مزارات تاريخية تذكرهم بمنازل الوحي ومواقع الإسلام الخالدة. وكانت أبرز منجزاته (يرحمه الله) في هذا الشأن ما يلي:

مشروع الملك عبد الله بن عبد العزيز لإعمار مكة المكرمة

وهو من المشاريع غير المسبوقة في مكة المكرمة، ولا في غيرها من مدن العالم، حيث إنه عالج معظم الأحياء العشوائية، وجعل من مكة المكرمة مدينة حضارية عصرية محتفظة بهويتها الإسلامية، محاطة بطرق دائرية، تتخللها شوارع رئيسة إشعاعية، ترتبط مع ساحات الحرم بمحطات ووسائل نقل حديثة ذكية. ويأتي تطوير (مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة) ـ الذي يعد بوابة مكة المكرمة ـ في قائمة المشاريع الهامة لإعمار مكة وتهيئة أفضل الخدمات للحجاج والمعتمرين والزوار.

توسعة المسعى أفقياً ورأسياً

كان السعي بين الصفا والمروة أحد المناسك التي يتزاحم فيها الحجاج والمعتمرين بسبب ضيق المسعى عن استيعاب الأعداد المتزايدة القادمة لأداء

مسيرة موفقة

فريضتي الحج والعمرة، وعندما تولى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (يرحمه الله) مقاليد الحكم، استشار العلماء بشأن جواز توسعة المسعى تيسيراً على الحجاج وتخفيفاً لمشكلة الزحام التي يعانون منها، فأفتوا بجواز ذلك، فأصدر أوامره الكريمة بالبدء الفوري في تنفيذ مشروع توسعة المسعى بعد موسم حج ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م ، لتصبح مساحة المسعى بعد توسعته ـ أفقياً ورأسياً ـ ضعف ما كانت عليه من قبل، حيث أصبح عرض المسعى الجديد (٤٠) متراً بدلاً من (٢٠) متراً، وتضاعف عدد الأدوار لتبلغ أربعة أدوار مكيفة. وقد زوِّدت التوسعة بما تحتاج إليه من سلالم كهربائية إضافية، وبخاصة من جهة المروة؛ وقد تم استبدال المنارة القديمة التي أزيلت في أعمال التوسعة بمنارة جديدة ـ شرقي

التوسعة - بالارتفاع نفسه. ويبلغ إجمالي المساحة الحالية للمسعى(٨٧٠٠٠) متر مربع، بدلاً من (٢٩٤٠٠) متر مربع قبل التوسعة؛ وهو ما رفع الطاقة الاستيعابية للمسعى لتصل إلى (١١٨٠٠٠) ساعٍ.

تشييد منشأة جديدة للجمرات

كانت منطقة رمي الجمار من أكثر مناطق المناسك ازدحاماً بالحجاج على مدى أيام التشريق، وغالباً ما كان هذا الزحام يؤدي إلى سقوط بعض الضحايا والمصابين بسبب تدافع الحجيج عند الرمي؛ وظلت هذه المشكلة تؤرق الجهات المسؤولة عن الحج، إلى أن أمر خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (يرحمه الله) بهدم الجسر القديم - وكان يتكون من طابقين - بعد أداء مناسك الحج عام١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، واستبداله ببناء منشأة جديدة للجمرات متعددة الأدوار، لاستيعاب أعداد أكبر من الحجاج، وتسهيل عملية رمي الجمرات وانسيابيتها بأمن وسلامة.

وبلغ طول جسر الجمرات الجديد (٩٥٠) متراً وعرضه (٨٠)متراً، ويتألف من خمسة طوابق يبلغ ارتفاع كل طابق منها (١٢) متراً، وله (١٢) مدخلاً و(١٢) مخرجاً من الاتجاهات الأربعة، بالإضافة إلى منافذ للطوارئ، بما يمكن من تفويج (٣٠٠) ألف حاج في الساعة. كما يشتمل على كاميرات مراقبة تعمل باستمرار في جميع أنحاء المنشأة وفي منطقة تدفُّق الحشود، لتسهم في مراقبة حركة الحجاج، ونقل صورة مباشرة لمساعدة الفريق المساند للجسر، وتعزيز السلامة، وتوفير الخدمات الطبية العاجلة عند الحاجة. وقد روعي في المنشأة الجديدة أن تشتمل على مهبط للطائرات المروحية لحالات الطوارئ.

تسيير قطار المشاعر

كان تنقل الحجاج بين المشاعر المقدسة في موسم الحج، وخصوصاً بين منى وعرفة ومزدلفة يسبب لهم مشقة كبيرة بسبب تكدس السيارات في الطريق بين المشاعر الثلاثة جيئة وذهاباً، إلى أن وقع الاختيار على تسيير قطار بين تلك المشاعر في موسم الحج، وقد لقي المشروع استحساناً ومباركة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (يرحمه الله)، الذي أمر بالبدء في تنفيذه على وجه السرعة، وذلك سنة ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م، وقد بدأ القطار في العمل بنسبة ٣٧٪ من طاقته وقدرته الاستيعابيه في حج العام ١٤٣١هـ /٢٠١٠م، وانتهى المشروع كاملاً في حج العام التالي ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م. و تبدأ المحطات الأولى للقطار من داخل مكة، ثم يمر بثلاث محطات في مشعر عرفات ومثلها في مشعر مزدلفة ثم أول مشعر منى ووسطه، وتكون المحطة الأخيرة عند الدور الرابع بجسر الجمرات. و يستوعب القطار نقل (٥٠٠٠٠٠) راكب أثناء موسم الحج، ويتميز بخطط حركة للقطارات بين المشاعر بما يتناسب مع ترتيب مناسك الحج، بدءاً من يوم التروية وحتى نهاية آخر أيام التشريق.

مشروع سقيا زمزم

يعد مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (يرحمه الله) لسقيا زمزم الأول من نوعه عبر العصور السابقة، وقد تم البدء فيه سنة ١٤٣١هـ /٢٠١٠م، وهو يهدف إلى تأمين نقاوة ماء زمزم والمحافظة عليه من خلال تمريره على خطي تصفية، يشتمل كل خط منهما على مجموعة من الفلاتر الخاصة، ووحدة تعقيم، لينتهيا

مسيرة موفقة

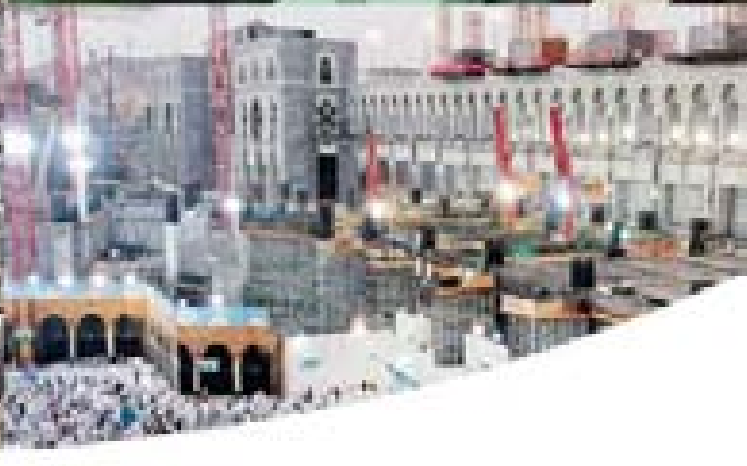

إلى خزان كبير يتسع إلى عشرة ملايين لتر كحد أقصى من المياه المنتجة، بحيث تضخ منه - بواسطة أربع مضخات - إلى الحرم المكي، عبر خط ناقل قطره (٢٠٠) ملم. كما يتم - عبر هذا المشروع - تعبئته مليوني لتر يومياً.

توسعة الحرم المكي الشريف

في ٢٠ رمضان سنة١٤٣٢هـ، الموافق ٢٠ أغسطس ٢٠١١م، وضع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز (يرحمه الله) حجر الأساس لتوسعة الحرم المكي الشريف؛ وعلى الرغم من تعدد التوسُّعات التي شهدتها أروقة المسجد الحرام خلال أكثر من (١٤) قرنا مضت، والتي أضافت إليه

الملك عبد الله بن عبد العزيز

مميزات معمارية كثيرة ومتنوعة على مر العصور، إلا أن التوسعة الأخيرة تعتبر الأكبر، والأكثر تطوراً، وتوسعاً أفقياً ورأسياً وخدميا، حيث بلغت مساحة الحرم المكي بعد أعمال التوسعة (٣٥٦) ألف متر مربع - بما في ذلك الساحات المحيطة به والمخصصة للصلاة وكذلك السطح - بعد أن كانت قبل ذلك (١٥٢) ألف متر مربع.

وقد اشتمل مشروع التوسعة على: توسعة الحرم المكي نفسه؛ وتوسعة الساحات الخارجية، بما فيها من: دورات المياه، والممرات، والأنفاق، والمرافق الأخرى المساندة التي تعمل على انسيابية حركة المصلين أثناء دخولهم وخروجهم من الحرم؛ وتوسعة منطقة الخدمات والتكييف ومحطات الكهرباء ومحطات المياه، إضافة إلى الأنظمة الحديثة للتخلص من النفايات، وأنظمة المراقبة الأمنية... وغيرها؛ إضافة إلى توسعة ساحات الحرم من جهة الشامية، والتي تبدأ من باب المروة، وتنتهي عند حارة الباب وجبل هندي بالشامية وعند طلعة الحفائر من جهة باب الملك فهد، وهذه التوسعة عبارة عن ساحات فقط. كذلك تمت توسعة صحن المطاف بهدم التوسعة العثمانية وتوسيع الحرم من الجهات الثلاث وقوفاً عند المسعى، حيث إن المسعى ليس من الحرم؛ وتوسيع الحرم من جهة أجياد، ومن جهة المسفلة بعد هدم ما فيهما من مبانٍ وتعويض أصحابها. كما يشتمل المشروع على تعلية أدوار الحرم لتصبح أربعة أدوار مثل المسعى الجديد حاليا، ثم تعلية دورين مستقبلا ليصبح إجمالي التعلية (٦) أدوار.

وتشتمل التوسعة أيضاً على منظومة متكاملة من عناصر الحركة الرأسية، حيث زودت بالسلالم المتحركة والثابتة والمصاعد الكبيرة، التي روعي فيها أدق معايير الاستدامة، من خلال توفير استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية، وكذلك اعتماد أفضل أنظمة التكييف والإضاءة الموفرة للطاقة. ويدخل ضمن أعمال التوسعة زيادة عدد مداخل الحرم لتصل إلى خمسة وأربعين مدخلاً، بالإضافة إلى أربع بوابات رئيسة، أما عدد المآذن بالحرم فيبلغ تسع مآذن، فيما يبلغ عدد السلالم الكهربائية المتحركة سبعة سلالم، بالإضافة إلى السلالم العادية.

وسوف يوفر هذا المشروع العملاق - عند الانتهاء منه في منتصف العام الحالي ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م - الفرص لأعداد غير مسبوقة من المسلمين لزيارة المسجد الحرام في وقت واحد، إذ إنه سيرفع طاقة الحرم الاستيعابية إلى الضعف تقريباً، فضلاً عما ستستوعبه الساحات الخارجية من أعداد، حيث يجري العمل على تظليل الساحات الشمالية وربطها بالتوسعة الأولى والمسعى، من خلال جسور متعددة لإيجاد التواصل الحركي المأمون للحشود، وكذلك من خلال تهيئة الساحة الخارجية الواقعة بين باب «الفتح» وباب «العمرة» لتنفيذ البنية التحتية والخدمات لصالح المشروع، ليكون امتداداً للتوسعة واتصالها مع الجهة الشمالية للمسجد الحرام.

مشروع ساعة مكة المكرمة

وهو أحد المشاريع الحضارية التي تم تنفيذها في عهد فقيد الأمة (يرحمه الله) تعبيراً عن قيمة الوقت في حياة المسلمين، وعلاقته المباشرة بعبادتهم اليومية وهي الصلاة. وتعد ساعة مكة المكرمة أكبر ساعة في

العالم، فضلاً عن وجودها بجوار أكبر مسجد في المعمورة ، وعلى أطهر بقعة على الأرض وأول بيت وضع للناس. وهي تحفة معمارية فريدة، سخرت لها أفضل القدرات الهندسية في العالم.

وتتكون الساعة من أربع واجهات، ركبت على جدرانها مخارج ضوئية من الليزر، تصدر شعاعاً ضوئياً في المناسبات المختلفة، كالعيدين ورمضان، وإشارات ضوئية وقت الأذان.

الموافقة على إنشاء مكتبة الحرم المكي

وهو من أواخر المشاريع التي صدرت موافقته (يرحمه الله) على تنفيذها بجوار الحرم المكي الشريف على أحسن طراز

وأروع تصميم، لتكون منارة علمية شامخة، وصرحاً معرفياً حضارياً متميزاً.

توسعة المسجد النبوي الشريف

في الثامن من شهر ذي القعدة ١٤٣٣هـ، الموافق للرابع والعشرين من شهر سبتمبر ٢٠١٢م، وضع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز (يرحمه الله) حجر الأساس لتوسعة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة، وهي التوسعة الأكبر للحرم النبوي منذ تأسيسه في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، إذ إنها شملت جميع مساحة المدينة المنورة القديمة تقريباً، ويتضمن المشروع إضافة مبنى جديد بجانب مبنى المسجد الحالي يحيط ويتصل به من الشمال والشرق والغرب بمساحة قدرها (٨٢٠٠٠) متر مربع، تستوعب (١٦٧٠٠٠) مصلٍّ؛ وبذلك تصبح المساحة الإجمالية للمسجد النبوي الشريف بعد التوسعة (٩٨٥٠٠) متر مربع؛ وقد تم تغطية سطح التوسعة - والمقدرة مساحته بـ (٦٧٠٠٠) متر مربع - بالرخام، ليستوعب (٩٠٠٠٠) مصلٍّ. وسوف تصل السعة الاستيعابية الإجمالية للمسجد عند انتهاء المشروع إلى حوالي مليون و(٦٠٠) ألف مصلٍ.

الترجمة الفورية لخطب الجمعة

وهو من أواخر مشاريع الخير التي اعتمدها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) لتعميم الفائدة ونشر العلم الشرعي بين أكبر عدد ممكن من رواد الحرمين الشريفين، سواء الوافدين لأداء الحج والعمرة والزيارة، أو المقيمين من المسلمين غير الناطقين بالعربية في مكة والمدينة، فضلاً عن جميع الشعوب التي تستخدم اللغات التي تتم الترجمة إليها، والذين تصل إليهم خطبتي الجمعة في الحرمين الشريفين من خلال بثها مباشرة عبر القنوات الفضائية، وهو ما يجعل هذا المشروع المبارك رائداً في نشر الدعوة الإسلامية الوسطية في جميع أنحاء العالم.

تطوير مطار المدينة المنورة

يعدُّ مطار الأمير محمد بن عبد العزيز الدولي بوابة المسلمين الجوية للمسجد النبوي الشريف، وقد تم افتتاحه عام ١٩٧١م، وكان مطاراً داخلياً في بداية إنشائه، واقتصر استقباله للرحلات الدولية على الرحلات القادمة من القاهرة، ودمشق وإسطنبول في مواسم الحج فقط. ومع الزيادة الكبيرة في عدد الرحلات في مواسم الحج والعمرة، وتيسيراً على القادمين إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من كل أنحاء العالم، أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) أوامره بتحويل المطار إلى مطار دولي وذلك عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

وسيكون بإمكان المطار الجديد - الذي ستفتتح المرحلة الأولى من تطويره في العام الحالي ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م - استقبال (٢٨) طائرة في وقت واحد، وسترفع المرحلة الأولى من التطوير القدرة الاستيعابية للمطار لتصل إلى ثمانية ملايين راكب في العام، بينما ستتيح المرحلة الثانية - التي سيتم الانتهاء منها بعد ثلاث سنوات من تسليم المرحلة الأولى - للمطار أن يستوعب اثني عشر مليون راكب في العام.

مسيرة موفقة

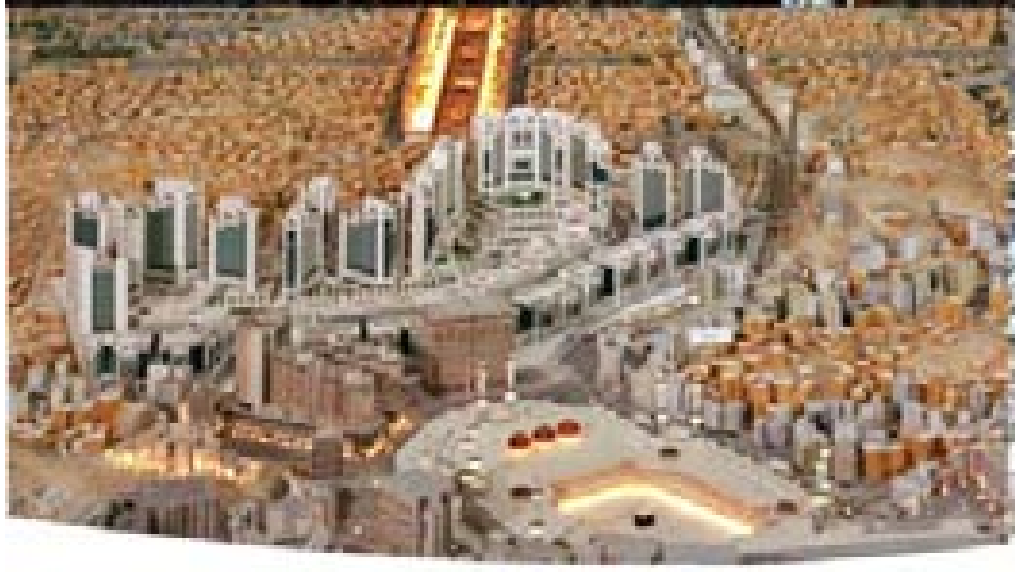

إنشاء مدينة الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحجاج

وهو أحد المشاريع العملاقة التي أقرها خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) قبيل رحيله لتقديم أوجه الرعاية وتقديم الخدمات لضيوف الرحمن من الحجاج والمعتمرين القادمين عن طريق ميناء ينبع. وسوف يتم تنفيذ هذا المشروع الحضاري الرائد على طريق الهجرة بالمدينة المنورة، على مساحة مليون وستمئة ألف متر مربع، تستوعب مئتي ألف حاج. وستحتوي مدينة الحجاج على فنادق ودور إيواء لاستيعاب شرائح متعددة من النزلاء؛ إضافة إلى تزويدها بمحطة للنقل والقطار، ومقرات للجهات المساندة، ومستشفى بسعة(٤٠٠) سرير. وستكون المدينة بعد افتتاحها بديلاً للصالة التي تم افتتاحها قبل حوالي ثلاث سنوات.

الملك عبد الله بن عبد العزيز

قطار الحرمين السريع

وهو أحد المشاريع العملاقة التي أمر الفقيد (يرحمه الله) بتنفيذها، لتيسير تنقل الحجاج والمعتمرين بين مكة والمدينة ومدينة جدة، بطول يزيد على (٤٥٠) كلم. ويتضمن المشروع خمس محطات ركاب في كل من: وسط جدة، ومطار الملك عبد العزيز بجدة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، ومدينة الملك عبد الله الاقتصادية في رابغ.

وسيربط القطار بين كل من جدة ومكة المكرمة بخط مزدوج بطول (٧٨) كيلو متراً، وهو ما سيختصر المسافة بين المدينتين إلى أقل من نصف ساعة، في حين يبلغ طول الخط الذي سيربط بين جدة والمدينة المنورة (٤١٠) كيلو مترات، وسيختصر المسافة إلى نحو ساعتين ونصف الساعة، وذلك لما يتميز به من سرعة عالية تتجاوز (٣٠٠) كيلومتر في الساعة .

ويتوقع أن يصل حجم النقل السنوي للمشروع ما يزيد على ثلاثة ملايين راكب سنوياً، مما يجعل منه حلاً نهائياً لمشاكل النقل والاختناقات المرورية، التي تعاني منها المدن الثلاث في مواسم الحج والعمرة، في المستقبل، خصوصاً وأن الدراسات تشير إلى أن أعداد الحجاج والمعتمرين سوف يتضاعف خلال الخمسة والعشرين سنة المقبلة إلى أكثر من ثلاثة ملايين حاج وأكثر من (١١) مليون معتمر، بنسبة زيادة سنوية للحجاج ١,٤١٪ و٣,١٤٪ للمعتمرين.

ومن المتوقع أن يتم تشغيل القطار تجريبيًا بين محطتي المدينة المنورة ورابغ بنهاية العام الحالي١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، حيث قاربت نسبة الإنجاز بين المحطتين نسبة ١٠٠ ٪؛ أما مسار مكة المكرمة - المدينة المنورة فقد يتأخر إلى ما بعد عام ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، حيث تواجه عمليات التنفيذ بعض العقبات اللوجستية، التي يتم العمل على إزالتها.

سنـــد المواطن ومعينـه

«إن الإسلام يدعو إلى توفير الحيـــاة الطيـــبة لأبنائه، وسبيلنا إلى تحقيق ذلك، هو التنمية الشاملة التي سنسعى بإذن الله إلى استكمالها، متلمسين خير المواطن وسعادته، آملين أن نحقق له أسباب السكن والعمل والتعليم والعلاج وبقية الخدمات والمرافق، وسنحرص على مكافحة الفقر والاهتمام بالمناطق التي لم تحصل على نصيبها من التطور، وفقا لخطط التنمية المدروسة».

من كلمته (يرحمه الله) في افتتاح أعمال السنة الثانية من الدورة الرابعة لمجلس الشورى.

انطلاقاً من استراتيجية واضحة وشاملة للارتقاء بالأحوال المعيشية للمواطنين - لخصها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) في الكلمات الموجزة الآنفة - بادر (يرحمه الله) - وبعد أحد عشر يوماً فقط من توليه مقاليد الحكم في السادس من شهر رجب ١٤٢٦هـ، الموافق للأول من أغسطس ٢٠٠٥م - إلى اتخاذ جملة من القرارات التي استهدفت رفع المستوى المعيشي للمواطنين، وكان من أبرزها في ذلك الحين:

- زيادة رواتب العاملين بالقطاع الحكومي من عسكريين ومدنيين، بنسبة ١٥٪ لمواجهة أعباء غلاء المعيشة وارتفاع أسعار السلع عالمياً، وصرف راتب شهر أساسي لشاغلي المرتبة الخامسة فما دونها من المدنيين، وشاغلي رتبة (رئيس رقباء) فمادونها من الأفراد العسكريين.
- زيادة مخصصات الجهات الحكومية التي تقدم خدماتها للمواطنين، حيث قامت الدولة بضخ المزيد من الأموال لتواصل تقديم خدماتها للمواطنين، وكان في مقدمة الجهات التي دعمتها الدولة آنذاك: الضمان الاجتماعي - الذي ارتفع حدُّه الأعلى من ستة عشر ومئتي ريال إلى ثمانية

وعشرين ألف ريال ـ والكهرباء، والمياه، وصندوق التنمية العقاري، وبنك التسليف وصندوق التنمية الصناعي... وغيرها.

• دعم المواد الأساسية، وتخفيض سعر مشتقات الوقود، وإقرار الاستراتيجية الوطنية للإنماء الاجتماعي، وبرنامج الدعم التكميلي لسد الفجوة بين الدخل الفعلي للأسر والأفراد والفقراء فقرا مدقعا وخط الفقر، والمبادرة إلى إنشاء الصندوق الخيري الوطني.

• تخصيص مبلغ قدره ثمانية آلاف مليون ريال من فائض إيرادات السنة المالية ١٤٢٥ ـ ١٤٢٦هـ لدعم الإسكان الشعبي في بعض مناطق المملكة.

وتواصلت قرارات الفقيد (يرحمه الله) تقدّم الدعم السخي للمواطنين

الملك عبد الله بن عبد العزيز

لتحسين مستواهم المعيشي، حيث أصدر (يرحمه الله) ـ في ١٤٣٢/٣/٢٠هـ، الموافق ٢٠١١/٢/٢٣م، ثم في ١٤٣٢/٤/١٣هـ الموافق ٢٠١١/٣/١٨م ـ حزمة من الأوامر التي استهدفت تذليل العقبات التي تواجه المواطن في حياته الاجتماعية، وخصوصاً ما يتعلق منها بمسكنه العائلي، أو دخله الشهري، أو أعبائه المالية؛ وكان أبرز تلك الأوامر:

• رفع الحد الأدنى لعدد أفراد الأسرة التي يشملها الضمان الاجتماعي من (٨) أفراد إلى (١٥) فرداً؛ وتفعيل البرامج المساندة في الضمان الاجتماعي ودعمها، كبرنامج: (الأسر المنتجة)، وبرنامج: (الفرش والتأثيث)، وبرنامج: (بطاقة الشراء المخفض) ... وغيرها؛ وتوسيع الخدمات المقدمة من الرعاية والتنمية الاجتماعية وتطويرها لتحقيق الاحتياجات المطلوبة للمستفيدين منها، كذوي الحاجات الخاصة، وأسر الموقوفين (السجناء)، ومؤسسات رعاية الأحداث من الجنسين، والأسر الحاضنة والبديلة للأيتام ... وغيرها؛ وزيادة مخصصات الجهات الأهلية التي تقدم الدعم لتلك الفئة من أبناء المجتمع، كالجمعيات الخيرية والجمعيات التعاونية...وغيرهما.

• صرف راتب شهرين لجميع موظفي الدولة، ومكافأة شهرين لطلاب وطالبات التعليم العالي، تقديراً لدورهم في بناء الوطن وإسهامهم في تشييد صروحه، وترسيخاً للروح الوطنية العالية التي تسهم في تقدم الوطن وتطويره.

• اعتماد الحد الأدنى لرواتب كافة فئات العاملين في الدولة من السعوديين بثلاثة آلاف ريال شهرياً، بعد استكمال الإجراءات النظامية الخاصة بذلك بشكل عاجل، مع تثبيت جميع العاملين

بالدولة بعقود مؤقتة على وظائف رسمية، ومن ثم يتسنى لهم الحصول على كافة الامتيازات التي يحصل عليها موظفو الدولة.

• إعفاء المقترضين من الصناديق الحكومية من سداد كل أو بعض القروض المستحقة عليهم، حيث تم إعفاء جميع المتوفين المقترضين من (صندوق التنمية العقارية) للأغراض السكنية الخاصة، وجميع المتوفين المقترضين من (البنك السعودي للتسليف والادخار) من سداد القروض الخاصة بالأغراض الاجتماعية دون أية شروط. كما تم إعفاء جميع المقترضين من (صندوق التنمية العقارية) و (البنك السعودي للتسليف والادخار) للأغراض الاجتماعية الخاصة، من قسطين لمدة عامين.

ونظراً إلى أن الحياة الطيبة الكريمة تتطلب توفير المسكن الملائم للمواطنين، فقد حرص (يرحمه الله) على تحقيق ذلك من خلال مجموعة من الأوامر الملكية، منها: دعم رأس مال صندوق التنمية العقارية بمبلغ إضافي قدرة أربعون مليون ريال، لتمكينه من تلبية الطلبات الكثيفة على القروض، وسرعة الحصول عليها؛ ورفع قيمة الحد الأقصى للقرض السكني المقدم من الصندوق من (٣٠٠) ألف ريال، إلى (٥٠٠) ألف ريال، مع ضمان عدم تأثير رفع قيمته على عدد المستفيدين من قروض الصندوق؛ وإلغاء شرط امتلاك المتقدم للقرض لأرض للبناء عليها، وذلك بهدف إتاحة الفرصة لأكبر عدد من المواطنين للتقديم على الصندوق للحصول على قرض البناء؛ واستحداث (وزارة الإسكان) لتحل محل الهيئة العامة للإسكان، وتتولى مشاريع الإسكان في مختلف مناطق المملكة.

وانطلاقاً من اقتناعه (يرحمه الله) بأن ارتقاء الأمم ورفاهية

الشعوب مرهونان بالعمل والإنتاج، وتنفيذاً لما تضمنته الاستراتيجية من التزام بتوفير العمل لجميع المواطنين، أولى الفقيد هذا الأمر جل اهتمامه، وجعله أحد أهدافه الرئيسة، حيث عبَّر عن ذلك في إحدى المناسبات بقوله:

« إن إعداد المواطن السعودي المنتج يأتي في قمة اهتمام الدولة، ولذلك فإن توفير فرص العمل سيكون أحد الأهداف الرئيسة التي نسعى لتحقيقها، مع ما يتطلبه ذلك من توفير المناخ المناسب لاقتصاد حقيقي، ومن شأن ذلك إيجاد فرص وظيفية مناسبة لأبنائنا وبناتنا».

وقد تحققت أهداف خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (يرحمه الله) من خلال عدة إجراءات ، منها: إحداث العديد من الفرص الوظيفية في

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بالمنطقة الشمالية. وتتراوح السعة السريرية لتلك المدن بين (٨٥٠) سريراً و(١٥٠٠) سرير؛ وجميعها يضم بين جنباته: مراكز للأورام، ومراكز للعلوم العصبية، ومراكز للقلب، ومراكز للأبحاث، ومراكز لزراعة الأعضاء، ومستشفيات تخصصية، وأخرى تأهيلية، ومختبرات مركزية؛ فضلاً عما تشتمل عليه من: عيادات خارجية، ومبانٍ للإدارة والمؤتمرات، ومبانٍ للخدمات، ومبانٍ للإسكان.

ـ إنشاء مراكز للعناية المركزة في مناطق المملكة: لمواجهة النقص الذي كانت تعاني منه بعض المناطق، حيث أُقيم مركز للعناية في كل مدينة من المدن التالية: الرياض، وجدة، والأحساء، والدمام، والمدينة المنورة، وعسير. ويبلغ إجمالي السعة السريرية لتلك المراكز (٦٢٠٠) سرير.

ـ تطوير البنية التحتية للعديد من مستشفيات المملكة: فقد شهدت العديد من المستشفيات بالمملكة في عهد فقيد الأمة (يرحمه الله) إحلالاً وتطويراً لبنيتها التحتية، حيث تم تنفيذ (٤٤) مشروعاً تطويرياً للمستشفيات على مرحلتين: الأولى: وتشمل (٢٢) مشروعاً في كل من: الرياض، ومكة المكرمة، والمنطقة الشرقية، والمدينة المنورة، وحائل، والقصيم، وعسير، وتبوك، والجوف، وجازان، ونجران؛ أما الثانية فتشمل إحلال وتطوير البنية التحتية لـ (٢٢) مستشفى في كل من: الرياض، ومكة المكرمة، والمنطقة الشرقية، والمدينة المنورة، والقصيم، وعسير، والباحة، وجازان، ونجران.

ـ توفير التأمين الطبي للعاملين بالقطاع الخاص: وهو أحد المشاريع الصحية الهامة التي أُنجزت في عهد خادم الحرمين الشريفين

مختلف القطاعات الحكومية للمواطنين والمواطنات، فضلاً عن تثبيت من يعملون على وظائف مؤقتة بالدولة؛ وحثّ مؤسسات القطاع الخاص ـ عبر قوانين جديدة للعمل والتوظيف ـ على المسارعة في سعودة الوظائف بصورة تدريجية، والتوسُّع في إنشاء المدن الصناعية الكبرى في مناطق المملكة المختلفة لإيجاد فرص عمل لأبناء المناطق التي تقام فيها تلك المدن ولا يضطر سكانها إلى الهجرة الداخلية بحثاً عن فرص العمل.

مجدِّد المنظومة الصحية

اهتم فقيد الأمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) بتوفير الرعاية الصحية المتكاملة والشاملة للمواطنين والمواطنات في كافة مناطق المملكة؛ وقد شهد القطاع الصحي في عهده الزاهر قفزات تطويرية هائلة لتواكب الكثافة السكانية المتزايدة، والمتطلبات الصحية المتصاعدة، وتمثلت أبرز الخطوات التي اتخذت فيما يلي:

ـ إنشاء المراكز الطبية المتخصصة: حيث شهدت سنوات حكمه (يرحمه الله) إنشاء أكثر من (٢٨) مركزاً طبياً متخصصاً، انتشرت في أنحاء المملكة، واشتملت على: مختبرات صحية وطبية، ومراكز للسكري، ومراكز لطب الأسنان، إضافة إلى المختبرات الإقليمية وبنوك الدم.

ـ توسعة وبناء المدن الطبية المتكاملة: حيث بلغ عددها خمس مدن رئيسة موزعة على مناطق المملكة على النحو التالي: مدينة الملك فهد الطبية بالرياض، ومدينة الملك عبد الله الطبية بمكة المكرمة، ومدينة الملك خالد الطبية بالمنطقة الشرقية، ومدينة الملك فيصل الطبية بعسير، ومدينة الأمير محمد بن

(يرحمه الله)، حيث تم إلزام المؤسسات الخاصة بتوفير التأمين الطبي للعاملين فيها، سواء كانوا من المواطنين أو المقيمين من العمالة الوافدة.

ـ إنشاء مركز متخصص لنقل وزراعة الأعضاء: ويتولى هذا المركز التنسيق بين المستشفيات في مجال نقل وزراعة الأعضاء .

ـ التطوير المستمر لما يقدم للمواطنين من خدمات صحية (علاجية ووقائية وتأهيلية)، وذلك عبر العديد من الإجراءات، ومنها:

• استحداث البرامج التي ترفع مستوى الخدمة الصحية المقدمة للمواطنين، مثل: برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز للبعثات الصحية، وهو برنامج سنوي يسعى إلى تقديم الخدمات المتكاملة

للمواطنين في مناطق المملكة المختلفة؛ برنامج علاقات المرضى، الذي يتم تطبيقه في مستشفيات وزارة الصحية وغيرها من المستشفيات التابعة لوزارة الحرس الوطني، ووزارة الدفاع والطيران ووزارة الداخلية والكثير من المستشفيات الأهلية، ويُعدّ هذا البرنامج حلقة وصل بين المستشفى والمستفيدين من خدماته، لحل مشاكلهم وتسهيل حصولهم على الخدمة الصحية الأفضل، واستطلاع آرائهم فيما يقدم لهم من خدمات للاستفادة منها في تلافي السلبيات وتعزيز الإيجابيات؛ وبرنامج توفير الرعاية المنزلية للمرضى في منازلهم، وهو برنامج استحدثته وزارة الصحية بهدف توفير خدمات الرعاية الصحية والمنزلية الميسّرة للمرضى المحتاجين لها.

- التوسُّع في خدمات طب الأسرة والمجتمع، والتي يتم تقديمها من خلال المراكز الصحية لتخفيف الضغط على المستشفيات المتخصصة، حيث تم خلال عهد خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) افتتاح المزيد من مراكز طب الأسرة في مدن المملكة ومحافظاتها لتقديم الرعاية والخدمات الصحية الأساسية لمحتاجيها.

- الاهتمام بالعنصر البشري القائم بالرعاية والخدمات الصحية: حيث شهد عهد الفقيد (يرحمه الله) زيادة مضطردة في أعداد الخريجين من الأطباء والأخصائيين الفنيين في المجالات الطبية (الأشعة، التحاليل، المختبرات، الإسعاف ... وغيرها)، فضلاً عن الممرضين والمشرفين الطبيين ... وغيرهم، ويعود ذلك إلى افتتاح المزيد من الجامعات والكليات والمعاهد المتخصصة في العلوم الطبية، والتي من أحدثها (جامعة الملك سعود للعلوم الصحية) التابعة لوزارة الحرس الوطني.

ولا شك أن النهضة الطبية الشاملة التي شهدتها المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) عادت بالنفع والفائدة على جميع المواطنين والمقيمين في المملكة، فضلاً عن أنها جعلت المملكة تتبوأ مكانة عالمية مرموقة في المجال الصحي، وأضحت مرجعاً طبياً وعلاجياً للعديد من الأمراض، وبخاصة أمراض وجراحة القلب والكبد، التي حققت فيها تقدماً كبيراً، حيث أجريت في مدنها الصحية العديد من العمليات الناجحة. كما حققت المملكة مركزاً عالمياً متميزاً في مجال عمليات فصل التوائم السيامية - التي تم أغلبها بتوجيهات من قبل خادم الحرمين الشريفين وعلى نفقته الخاصة (يرحمه الله) - وقد حققت المملكة رقماً عالمياً فريداً في هذا المجال، حيث أُجري فيها ما يزيد على (٣٣) عملية معقدة في مجال فصل التوائم، نفّذ أغلبها في مدينة الملك عبد العزيز الطبية بالرياض التابعة للشؤون الصحية بوزارة الحرس الوطني، وجلها كُلّل بالنجاح ولله الحمد.

راعي النهضة التعليمية

«إننا نعيش في عصر العلم والتقنية، وفي هذا العصر، لا توجد قوة حقيقية دون علم وتقنية، وسوف تظل على هامش العصر ما لم تنجح في العلم وتطوير التقنية، وهذا ما سوف تعمل الجامعة الفتية على تحقيقه». من كلمة الفقيد (يرحمه الله) عند وضع حجر الأساس لجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية.

كان عهد خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز هو عهد

مسيرة موفقة

تطوير التعليم والتوسع في التخصصات العلمية بامتياز، حيث استطاع (يرحمه الله) أن يبعث في البلاد نهضة تعليمية شملت كل مراحل التعليم، وجميع أنواعه (العام، والفني، والمهني، والعالي)، الحكومي منه والأهلي؛ وانطلقت من استراتيجية واضحة، وخطط مدروسة، بُنيت على رؤى وآراء وقناعات تم تداولها والتشاور حولها بين المتخصصين والمهتمين بالشأن التعليمي من أبناء الوطن؛ واستفادت من معطيات العصر ومستجداته: التقانية، والإلكترونية والمعلوماتية؛ وربطت مخرجات التعليم في المملكة بسوق العمل، وحرصت على

الملك عبد الله بن عبد العزيز

توافق تلك المخرجات مع حاجات المملكة الآنية والمستقبلية، لتحقيق اقتصاد المعرفة المعتمد لدى كافة الدول المتقدمة في العالم.

ويستطيع المتابع لتطور مسيرة التعليم في عهد خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) أن يتلمس نتائج تلك النهضة في المظاهر التالية:

ـ تبنّي المشروعات الطموحة لتطوير التعليم العام (ما قبل الجامعي): ويأتي مشروع (الملك عبد الله بن عبد العزيز لتطوير التعليم العام) (تطوير) على رأس هذه المشروعات الطموحة والواعدة؛ وقد تم إقراره من قبل مجلس الوزراء في ٢٤ محرم ١٤٢٨هـ، وكان الهدف منه هو إحداث نقلة نوعية في مسيرة التعليم لتتوافق مخرجاته مع جهود التنمية التي تتطلب تعليماً متميزاً يكتسب الطلاب من خلاله القيم والمعارف والمهارات والاتجاهات التي تؤهلهم للقرن الحادي والعشرين، وتؤهلهم لبناء مجتمع المعرفة.

وخلال الأعوام الماضية أعدّ القائمون على المشروع أكثر من (٧٠) مبادرة، تمت متابعة تنفيذها بعناية وهمة عالية، ليلمس الوطن بأسره ثمار هذا الجهد من مخرجات التعليم، الذي يحتضن أكثر من خمسة ملايين طالب وطالبة.

وقد أولى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (يرحمه الله)الموهوبين والموهوبات اهتماما بالغاً من خلال (مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله للموهبة والإبداع)، وهي هيئة تعليمية مستقلة، كانت لها شخصيتها المستقلة برئاسته (يرحمه الله)؛ وتعد الهيئة نقلة جديدة لتطوير التعليم في وطننا الغالي، حيث فتحت المؤسسة الباب لاستقبال مبدعي ومبدعات الوطن للمشاركة في المسابقات المحلية والدولية العالمية والإقليمية، ومثلت هذه الرعاية من قبل خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) لهذا البرنامج التربوي والوطني الحيوي «موهبة» الأساس القوي للمسيرة التعليمية والتنموية في المملكة. وقد رعى (يرحمه الله) معرض (ابتكار) تشجيعاً لتلك الفئة من الطلبة والطالبات الذين منحهم الله تعالى أداء متميزاً أو قدرة فائقة عن بقية أقرانهم في مجال أو أكثر، وخصوصاً في مجالات التفوق العقلي والتفكير الابتكاري والتحصيل العلمي، ويحتاجون إلى رعاية تعليمية خاصة، ولذلك يتم اختيارهم وفق أسس ومقاييس علمية خاصة.

ـ الارتقاء بالتعليم الجامعي وتطويره: وذلك من خلال:

• تنفيذ الخطط بعيدة المدى التي تضمنتها استراتيجية التعليم، حيث شرعت وزارة التعليم العالي في تنفيذ خطة (آفاق ١٤٥٠هـ) التي تهدف إلى تطوير التعليم الجامعي ـ على مدى خمسة وعشرين عاماً ـ من أجل تحويله إلى منظومة ذات مستوى رفيع يحظى بالاعتراف والتقدير العالمي، فضلاً عن الإقليمي، ويسهم في بناء مجتمع المعرفة، والاستثمار في اقتصادياتها.

• التوسُّع في إنشاء الجامعات وانتشارها في جميع مناطق المملكة وأغلب محافظاتها، حيث ارتفع عدد الجامعات في عهده (يرحمه الله) من (٨) جامعات حكومية، ليصل إلى (٢٨) جامعة حكومية و (١١) جامعة أهلية، تنتشر في (١٣) منطقة من مناطق المملكة، وفي أكثر من حوالي (٨٠) محافظة، بزيادة (٦٤) محافظة عن ذي قبل، حيث كانت الكليات والجامعات مقصورة على (١٦) محافظة فحسب. وتضم هذه الجامعات مليون ومئة وواحد وأربعين ألفاً ومئة واثنين وثلاثين طالباً

مسيرة موفقة

وطالبة (١,١٤١,١٣٢) يدرسون في (٥٠٠) كلية.

وتجدر الإشارة إلى أن التوسُّع في انتشار التعليم الجامعي لم يقتصر على التوسّع الكمي فقط، وإنما شمل التوسع النوعي والاهتمام بمتطلباته وأسبابه، حيث تم التأكيد على ضرورة مراعاة المعايير التي أقرتها (الهيئة الوطنية للاعتماد الأكاديمي) عند إنشاء كل كلية من الكليات أو قسم من الأقسام العلمية لمتطلبات سوق العمل؛ سواء كانت كليات علمية أو تطبيقية أو مالية أو تربوية، وبات تقديم البرامج وتنظيم الفعاليات المعززة لتحقيق هذا الهدف الهام سمة من سمات قطاع التعليم العالي.

وحسبنا أن نشير في مجال التحسن النوعي للتعليم الجامعي إلى ما تم

إنشاؤه من جامعات متخصصة - مثل: جامعة الملك عبد الله للعلوم والتكنولوجيا كاوست (KAUST)، وجامعة الملك سعود للعلوم الصحية - وإلى أن كليات الطب والصيدلة والتمريض قد ارتفعت في عهده (يرحمه الله) من (١٦) كلية إلى ما يزيد على (٥٠) كلية.

• التوسُّع في إنشاء المدن الجامعية، التي تُعدّ مكوناً رئيساً في منظومة التعليم العالي، نظراً لما توفره للطلبة والطالبات الجامعيين من مناخ اجتماعي وتعليمي مستقر، يسهم في اكتمال البيئة الدراسية المشجعة على التفوق الدراسي والعلمي. وقد شهد عهده (يرحمه الله) تدشين المرحلة الأولى للعديد من المدن الجامعية، ووضع حجر الأساس للمرحلة الثانية.

• التوسع في الابتعاث الخارجي وتنظيمه، وذلك عبر (برنامج الملك عبدالله للابتعاث الخارجي)، الذي يحدد شروط الابتعاث، والتخصصات المطلوبة فيه، والتحقق من استيفاء المبتعثين للشروط ... إلى غير ذلك من تفاصيل البرنامج، الذي أنجز تسع مراحل، ابتعث خلالها ما يزيد على (١٥٠) ألف طالب وطالبة، تخرج منهم ما يقارب (٦٠) ألفاً، ومازال هناك (٩٠) ألفاً يواصلون دراستهم في مئات الجامعات العالمية المتخصصة.

وتشجيعاً للدارسين خارج المملكة، أصدر (يرحمه الله) سنة (١٤٣٢هـ) أمراً بضم كافة الطلبة والطالبات الذين يدرسون التخصصات التي حددتها وزارة التعليم العالي للابتعاث الخارجي على حسابهم الخاص خارج المملكة إلى البرنامج، حيث تتحمّل الدولة كافة تكاليف دراستهم، كما أمر (يرحمه الله) بزيادة رواتب جميع المبتعثين بنسبة ٥٠٪، لتيسير ظروفهم المعيشية خارج الوطن.

تشجيع البحث العلمي:

لقي قطاع البحث العلمي في عهد الفقيد (يرحمه الله) نصيبه الوافر من الدعم والمساندة للاستفادة من نتائجه في كافة مجالات الحياة، وبالنظر إلى أن (تقنية النانو) هي الفتح العلمي الواعد الذي ينتظره العالم في المستقبل المنظور، فقد لقيت بحوثه العلمية ما تستحق من اهتمام ودعم، فضلاً عما لقيته الكراسي العلمية في الجامعات السعودية من دعمه المتواصل والمباشر، فضلاً عن تشجيعه للأمراء ورجال الأعمال وغيرهم لتبني مشاريع الكراسي العلمية في الجامعات والمدن الطبية باعتبارها من المشاريع الوطنية التي تسهم في تطور الوطن وارتقائه.

وهكذا استطاع الملك عبد الله (يرحمه الله)، خلال فترة زمنية وجيزة، أن ينتقل بالعلم والتعليم في المملكة نقلة هائلة ليقترب به من عصر التقنية والمعلوماتية والقرية الكونية، وأن يربطه بالاقتصاد وصولاً إلى (اقتصاد المعرفة)، الذي أصبح السبيل الأمثل لارتقاء الدول علمياً وثقافياً في آن واحد.

مؤسس المدن الاقتصادية والمالية الكبرى

حققت المملكة على يدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله ابن عبد العزيز (يرحمه الله) نقلات اقتصادية غير مسبوقة، سواء على المستوى الداخلي أو الإقليمي أو الدولي، ففي عهده الزاهر استحدث العديد من المؤسسات الاقتصادية الوطنية لتنظيم النشاط الاقتصادي الداخلي، وكان من أبرزها:

مسيرة موفقة

• (إنشاء مركز الملك عبد الله المالي) في الرياض، وهو أحد المشاريع الاقتصادية الوطنية الكبرى، التي يجري تنفيذها، وهو يشبه (مركز لندن كناري وورف المالي)، ويهدف إلى توفير بيئة عمل سعودية، تضاهي المستويات العالمية، وذلك من خلال تجميع المؤسسات التي تقدم خدمات مالية، مثل: (شركات التأمين، والبنوك، ومكاتب المحاسبة والمراجعة القانونية والمحاماة، ومؤسسات التقويم، والمؤسسات الاستشارية والمالية ... وغيرها) في إطار واحد، مما يسهل الأعمال المالية والتجارية والاستثمارية ويسهم في إنجازها خلال وقت قياسي. ويعدّ هذا المركز هو الأول من نوعه في منطقة الشرق الأوسط، من حيث: الحجم والتنظيم والمواصفات، والتقنية، مما يؤهل المملكة لأن تكون عاصمة مالية للمنطقة، وفقاً لتقدير الكثير من الخبراء الماليين.

الملك عبد الله بن عبد العزيز

• (إنشاء المدن الاقتصادية الكبرى)، التي تعد نقلة نوعية بارزة في الاقتصاد الوطني، وهي خمس مدن موزعة في مناطق المملكة كالتالي: (مدينة الملك عبدالله الاقتصادية) في رابغ، وهي أكبر مدينة اقتصادية متكاملة في منطقة الشرق الأوسط؛ و(مدينة الأمير عبد العزيز بن مساعد الاقتصادية)، في حائل؛ و(مدينة المعرفة الاقتصادية) بالمدينة المنورة؛ و(مدينة جيزان الاقتصادية)؛ و(مدينة وعد الشمال الصناعية للاستثمارات التعدينية) في عرعر.

• (إنشاء هيئة تنمية الصادرات السعودية)، وهي هيئة حكومية مستقلة تعنى بتنمية الصادرات السعودية غير النفطية.

• (إنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد) (نزاهة)، وهي هيئة حكومية مستقلة تعمل على حماية النزاهة ومكافحة الفساد لخلق بيئة عمل تتسم بالنزاهة والشفافية والصدق والعدالة والمساواة، للإسهام في تنقية المناخ الاقتصادي والمالي بالمملكة.

وقد حقق اقتصاد المملكة في عهده (يرحمه الله) مكاسب داخلية متعددة، منها:

• ارتفاع الناتج المحلي النفطي بالأسعار الجارية بنسبة ١٩١٪ في عام ٢٠١٤م، مقارنة بعام ٢٠٠٤م، بينما ارتفع إجمالي الناتج المحلي غير النفطي بنسبة ١٩٤٪ خلال الفترة نفسها، وبلغ متوسط نموه ١١,٤٪ سنوياً وهو نمو متميز بكل المعايير العالمية؛ مما جعل المملكة تحتل المركز الثالث - بعد الصين والهند - بين مجموعة الدول العشرين الأقوى اقتصاداً في العالم، وذلك وفقاً للأسعار الثابتة بين دول المجموعة خلال الفترة من ٢٠٠٨ - ٢٠١٢م.

• تراجع نسبة الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي من (٧٣,٣٪) عام ٢٠٠٥م إلى (٧,٢٪) نهاية عام ٢٠١٣م.

• ارتفاع السيولة المحلية للقطاعين المالي والمصرفي من نحو (٥٥٣,٧) مليار عام ٢٠٠٥م، إلى نحو (٢٥٤٥,١) مليار ريال في نهاية عام ٢٠١٣م، بنمو نسبته (١٧٩,١٪)، وهو متوسط زيادة قدره (١٢٣,٩) مليار ريال سنوياً.

• تسجيل ميزان المدفوعات فائضاً بلغ (٣,٦) تريليون ريال.

• نجاح القطاع المصرفي بالمملكة في اجتياز تداعيات الأزمة المالية التي اجتاحت العالم عام ٢٠٠٨م، وعدم تأثُره بها، واستمراره في القيام بدوره في خدمة الاقتصاد الوطني، مستخدماً أحدث التقنيات الآمنة في مجال الخدمات المصرفية والمالية.

• زيادة نصيب الفرد من الناتج الإجمالي ليصل إلى (٣١ ألف دولار أمريكي) سنوياً، وهو أعلى بكثير من المتوسط في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الذي يبلغ (١١ ألف دولار) سنوياً، ويقترب من مستوياته في الدول الكبرى (٤١ ألف دولار) سنوياً.

كما حقق مكاسب كبرى على المستوى العالمي، منها:

• انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية (الجات).

• تصنيف المملكة ضمن أكبر تسعة عشر اقتصاداً على مستوى العالم من حيث الحجم والإمكانات، الأمر الذي مكّنها من الانضمام إلى مجموعة العشرين التي تضم أكبر عشرين اقتصاداً على مستوى العالم.

• حصول المملكة على جائزة تقديرية من البنك الدولي باعتبارها إحدى أفضل عشرين دولة أجرت إصلاحات اقتصادية، وإحدى أفضل

مسيرة موفقة

البيئات الاستثمارية على مستوى العالم، حيث حصلت المملكة على المرتبة (٢٣) من أصل (٧٨) دولة في العالم.

• تصنيف الاقتصاد السعودي أكبر اقتصادات العالم العربي حجماً وأكثرها تطوراً.

• محافظة المملكة - طيلة عهده الزاهر (يرحمه الله) - على معدلات تصنيف سيادية مرتفعة لملاءتها المالية من مؤسسات التقويم الدولية، حيث ارتفع تصنيف المملكة عبر وكالة (فيتش) العالمية للتصنيف الائتماني - في مارس ٢٠١٤م - من (AA-) إلى (AA)، وهي الدرجة التي تسبق الدرجة الممتازة للتصنيف الدولي (AAA)، التي تتمتع بها دول قليلة في العالم، وهذا التصنيف

الملك عبد الله بن عبد العزيز

يجعل المملكة الأفضل عربياً، كما احتلت المملكة ـ في عام ٢٠١٢م ـ المرتبة الثانية للدول الأفضل أداءً من حيث النمو الاقتصادي بين دول العشرين، الأمر الذي جعلها من أفضل البيئات الجاذبة للاستثمارات المحلية والأجنبية.

وهكذا استطاع الملك عبد الله (يرحمه الله) ـ من خلال دعم الاقتصاد الوطني وإعادة هيكلته بما يتلاءم مع المتغيرات الاقتصادية العالمية، والعمل على تنويع القاعدة الاقتصادية وتعديد روافدها لإحداث التأثير الإيجابي في مجمل القطاعات ـ أن يحمي اقتصاد المملكة من مصارع الأزمات العالمية، وأن يقيه من أي انكماش على المستوى المحلي، ومن ثم ضمن استمرارية ميزانية المملكة في خط تصاعدي يجسد القوة الاقتصادية.

صمام الأمن والأمان

«أيها الرجال البواسل في كافة القطاعات العسكرية، وأخص بالذكر أخوانكم رجال الأمن في وزارة الداخلية، إنكم درع هذا الوطن، واليد الضاربة لكل من تسوّل له نفسه المساس بأمنه واستقراره، بارك الله فيكم وفي كل ما تقومون به».

من كلمة وجهها (يرحمه الله) إلى شعب المملكة.

يُعدّ الأمن المهمة الأولى لقادة المملكة منذ عهد الملك عبدالعزيز (طيب لله ثراه)، كونه المرتكز الرئيس للتنمية والاستقرار والازدهار، ولذلك فقد أولاه خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) جلّ عنايته واهتمامه، وحرص على توطيده واستمراره، وذلك عبر دعمه المتواصل والسخي للجهات الأمنية والعسكرية، وتثمينه ـ المادي والمعنوي ـ لما تقدمه تلك الفئة الوطنية الغالية من تضحيات كبيرة تدفعها من دمائها وأرواحها.

و لا شك أن رجال الأمن والعسكريين يستمدون عزيمتهم وقوة إرادتهم واستعدادهم الدائم للتضحية من قيادتهم العليا، والتي كان خادم الحرمين (يرحمه الله) قدوة حسنة ومثلاً أعلى فيها، فما من موقف تعرض أمن المملكة في عهده للتهديد من الداخل أو الخارج، إلا وكان (يرحمه الله) صمام الأمن والأمان لشعبه ورجال أمنه وجيشه، بثباته وحزمه وعزمه وثقته في ربه ثم في شعبه بالقدرة على الصمود في وجه التهديد والقضاء على مصادره كائنة ما كانت؛ وحسبنا تأكيداً لما نقول أن نشير إلى بعض الأحداث الخطيرة التي وقعت في عهده الآمن، وهددت أمن البلاد والعباد، وأن نعيد قراءة موقفه الحاسم والحازم منها:

أولها: موقفه الحاسم ضد الإرهاب الذي تعرضت له المملكة في منتصف العقد الماضي من عناصر تنظيم القاعدة الإرهابي، والذي تستر مرتكبوه في عباءة الدين، حتى كاد بعض البسطاء والمخدوعين أن يصدقوا أن إجرامهم جهاداً مشروعاً كما يدعون، وليس جرماً ممنوعاً وتشويهاً فظيعاً للدين الإسلامي العظيم، وكان جرم أولئك الإرهابيين مزدوجاً، أولاً: لأنهم نسبوا أعمالهم الإجرامية للإسلام، بزعمهم أنهم ينصرون الدين ويحاربون أعداءه؟! فأساءوا إلى الإسلام بفهمهم الخاطئ وأظهروه أمام غير المسلمين ديناً دموياً يحض على قتل الأبرياء؛ ثانياً: لأن أعمالهم الإرهابية وجرائمهم التخريبية أضرت بوطنهم ومواطنيهم، أما ضررها بالوطن، فلأنها كانت تصيب الممتلكات العامة والخاصة بالتدمير والتخريب، ولأنها كانت تستهدف الأبرياء من الأجانب المقيمين بالمملكة، مما يظهرها على مستوى العالم

دولة ضعيفة وغ راير قادرة على توفير الأمن للمقيمين بها من الرعايا الأجانب، فضلاً عن توفيره لمواطنيها؛ وهذا إضرار بالوطن وبسمعته ومكانته الدولية أيما إضرار؛ أما إضرارهم بمواطنيهم، فلأن أعمالهم الإجرامية تسببت في موت وإصابة العديد من إخوانهم وبني جلدتهم من المدنين ورجال الأمن الذين تصدوا لهم ببسالة.

ولهذا كانت مهمة خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) في هذا المجال - مدعوماً بتأييد علماء الأمة ومفكريها، وثقة أبناء شعبه عامة - ذات اتجاهين متوازيين:

الملك عبد الله بن عبد العزيز

أحدهما: هو العمل على مكافحة الإرهاب داخلياً للقضاء على عناصره وتخليص المجتمع من شرور أتباعه، وكان لرجال الأمن السعودي دورهم البارز في هذا المجال، حيث استطاعوا - في مدة محدودة وبكفاءة عالية - محاصرة الإرهابيين والقبض على الكثير من عناصرهم، واضطرار الباقين منهم إلى الخروج من المملكة ووقف أنشطتهم داخلها.

ولم يقتصر الأمر في مكافحة الإرهاب على الجانب الأمني فقط، بل اهتم بتصحيح أفكار من تم التغرير بهم من الموقوفين، وذلك عبر لجان المناصحة التي ضمَّت نخبة من علماء المملكة الذين تناقشوا مع الموقوفين من المتهمين بالإرهاب، وأوضحوا لهم حقائق الشريعة المتعلقة بما آمنوا به من أفكار خاطئة.

أما الاتجاه الثاني في مكافحة الإرهاب فتمثل في إظهار الصورة الحقيقية للإسلام الذي شوهه أولئك الإرهابيون بأفعالهم وجرائمهم، والتأكيد على أنه بريء مما يُنسب إليه، وأن الإرهاب لا دين له ولا دولة، وأن مواجهته والقضاء عليه هي مهمة إنسانية وعالمية يجب أن تشارك فيها كل دول العالم.

وتحقيقاً للأهداف المرجوة في هذا الاتجاه: استضافت المملكة عام ٢٠٠٥م المؤتمر العالمي لمكافحة الإرهاب في مدينة الرياض؛ ودعمت بسخاء وافر المركز الدولي لمكافحة الإرهاب التابع للأمم المتحدة، وظل خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) يطالب المجتمع الدولي في كل مناسبة، للقيام بدوره في هذا الشأن، ونذكر من ذلك الدعوة التي وجهها إلى قادة الدول الصناعية، حيث قال: «إن ما يواجهه عالمنا من خطر الإرهاب يمثل تهديداً لحياة الآمنين وللاستقرار العالمي،

وإعاقة لجهود التنمية، وإننا إذ نرحب بالتقدم الكبير الذي تحقق في محاربة الإرهاب وتمويله، إلا أن الكثير من العمل لا يزال مطلوباً، فالإرهاب ظاهرة إجرامية ليس لها جنسية ولا قومية ولا دين؛ وموقفنا منه واضح وثابت، حيث نقف موقفاً صلباً في إدانته بجميع أنواعه وأشكاله، ونؤيد جميع المحاولات والإجراءات الدولية لمكافحته».

ثانيها: موقفه (يرحمه الله) من الفتنة التي حاول البعض إثارتها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والتي تمثلت في تحريض أبناء الشعب السعودي للتظاهر والخروج على تقاليد المجتمع والسير على خطى الثورات التي شهدتها بعض الدول العربية، حيث صدرت الأوامر بوأد الفتنة في مهدها، والتصدي بكل حسم لمن تسول له نفسه زعزعة الأمن والاستقرار ونشر الفوضى في المجتمع. وقد ترافق الاستعداد الأمني لمواجهة هذه الدعوات مع إباء الشعب السعودي ورفضه الاستجابة لأولئك الناعقين والمخربين، وهو الموقف الذي ثمّنته القيادة لشعبها الوفيّ الواثق في قادته، المحافظ على وحدته ولحمته، وهو ما يتجسد في الكلمة التاريخية التي وجهها الفقيد (يرحمه الله) لشعبه في هذه المناسبة، والتي قال فيها:

«كم أنا فخور بكم، والمفردات والمعاني تعجز عن وصفكم، أقول ذلك ليشهد التاريخ، وتكتب الأقلام، وتحفظ الذاكرة الوطنية، بأنكم صمام الأمان بعد الله لوحدة هذا الوطن، وأنكم صفعتم الباطل بالحق، والخيانة بالولاء وصلابة إرادتكم المؤمنة».

وخصّ (يرحمه الله) علماء المملكة ومفكريها بالتقدير، وثنّى على موقفهم الديني والوطني الحاسم والواضح من تلك الفتنة، حيث قال: **«أيها الشعب الكريم: اسمحوا لي أن أخاطب العلماء في هيئة كبار العلماء**

أو خارجها، الذين وقفوا ديانة للرب (عز وجل)، وجعلوا كلمة الله هي العليا في مواجهة صوت الفرقة ودعاة الفتنة. ولا أنسى مفكري الأمة وكتابها الذين كانوا سهاماً في نحور أعداء الدين والوطن والأمة؛ وبكل اعتزاز أقول للجميع، ولكل مواطن ومواطنة، إن أمةً ترفع كلمة الحق، لا خوف عليها، وأنتم في قلبها الأمناء على الدين واستقرار هذا الوطن».

كما ثمَّن (يرحمه الله) في كلمته الدور الذي قام به العسكريون ورجال الأمن لوأد الفتنة في مهدها، والاستعداد لمواجهتها حال اندلاعها، حيث خاطبهم قائلاً: «أيها الرجال البواسل في كافة القطاعات العسكرية، وأخص بالذكر أخوانكم رجال الأمن في وزارة الداخلية، إنكم درع هذا الوطن،

الملك عبد الله بن عبد العزيز

واليد الضاربة لكل من تسوّل له نفسه المساس بأمنه واستقراره، بارك الله فيكم وفي كل ما تقومون به».

وختم كلمته التاريخية لشعبه الوفي بالقول: **«أيها الشعب الكريم: يعلم الله أنكم في قلبي، أحملكم دائماً، وأستمد العون والعزم والقوة من الله ثم منكم. ولا تنسوني من دعائكم».**

ثالثها: موقفه (يرحمه الله) من التسلل الحوثي إلى بعض القرى السعودية في المنقطة الجنوبية سنة ٢٠٠٩م،حيث صدرت أوامره في الحال بدحر المعتدين، وإخراجهم من المواقع التي تسللوا إليها، ولم تلبث القوات السعودية أن نفذّت الأمر، وأعادت من بقي حياً من المعتدين إلى حيث أتى.

رحم الله تعالى خادم الحرمين الشريفين رحمة واسعة، فقد كان ـ بعد الله تعالى ـ صمام الأمن والأمان لشعبه ووطنه.

موطّد دعائم الاستقرار السياسي

حرص خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) على توطيد دعائم الاستقرار السياسي في المملكة، عبر تبنيه لنهج سياسي رشيد وحكيم، سواء على المستوى الداخلي أو المستوى الخارجي؛ حيث قام ـ على المستوى الداخلي ـ بتطوير المنظومة السياسية عبر تشكيل عدد من المجالس السياسية الجديدة، ومنها:

• مجلس الأمن الوطني: ويسهم في تسهيل عملية اتخاذ القرار؛ والتخطيط للسياسات الداخلية والخارجية؛ وتقويم الأحداث والتطورات الداخلية والخارجية التي يمكن أن تؤثر على أمن الدولة و مصالحها ، تمهيداً لاتخاذ القرارات الحاسمة بشأنها.

• نظام هيئة البيعة: ويهدف إلى إرساء دعائم الاستقرار السياسي لنظام الحكم بالمملكة، ووضع آلية مؤسسية لانتقال الحكم بين أبناء الملك عبد العزيز وأبناء أبنائه في المستقبل، وذلك وفقاً لما صرح به (يرحمه الله) عندما صدَّر النظام بقوله: « تم إصدار نظام هيئة البيعة لتعزيز البعد المؤسسي في تداول الحكم». وقد صدر هذا النظام عام ١٤٢٦هـ، عقب تولي خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) للحكم، وفي ظروف سياسية مستقرة، ما جعله إصلاحاً سياسياً حقيقياً بعيداً كل البعد عما يمكن أن يُشاع عنه بأنه جاء نتيجة ضغوط شعبية أو معارضة داخلية أو إملاءات خارجية، بل كان نتيجة رؤية ثاقبة مستنيرة تخطط للمستقبل بحس سياسي عميق ونظرة استشرافية واعية تهدف إلى ترسيخ قواعد استقرار الدولة، وتمهد الطريق للمسيرة الوطنية المظفرة على المديين القريب والبعيد، من خلال إحاطة قواعد الحكم بالدعائم القوية، التي تتمثل الرؤية الإسلامية، ولا تغفل المتطلبات التنظيمية العصرية، وهو ما أشار إليه النظام في مادته الثالثة بالنص على أن: «تلتزم الهيئة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد (ﷺ)، والمحافظة على كيان الدولة، وعلى وحدة الأسرة المالكة وتعاونها، وعدم تفرقها، وعلى الوحدة الوطنية، ومصالح الشعب».

وقد اتضحت الآثار الإيجابية لتأسيس هذا النظام في السلاسة والسرعة التي انتقل بها الحكم إلى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز (يحفظه الله) عقب وفاة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله)؛ كما اتضحت في الإجماع

على بيعة ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز، و بيعة ولي ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبد العزيز (يحفظهما الله).

كما حرص (يرحمه الله) على دعم الاستقرار السياسي عبر ترسيخ مفهوم حرية الرأي، وحرية الكلمة، واستشعار المسؤولية الذاتية والوطنية عن ذلك بين جميع المواطنين، ومن أقواله الصريحة في هذا الشأن قوله (يرحمه الله):

« إنني أطلب من كل مواطن يود بحث الشؤون العامة أن يتحلى بالحكمة والاتزان، وأن يتجنب ركوب الموجة وشهوة الظهور. إننا لا نود التعرض لحرية الرأي المسؤولة، ولكننا في الوقت نفسه لن نترك سلامة الوطن ومستقبل

أبنائه تحت رحمة المزايدين الذين يبدأون بالاستفزاز وينتهون بالمطالب التعسفية».

حامي حقوق الإنسان

«سأضرب بسيف العدل هامة الجور والظلم».

بهذه الكلمات قليلة العدد عميقة المعنى بما تنطوي من حكمة وإصرار وعزم على تحقيق العدالة بين الناس جميعاً، وإعطاء كل ذي حق حقه، تعامل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) مع ملف حقوق الإنسان، الذي شهد في عهده تطوراً ملموساً، وتميزت جهوده في هذا المجال بانطلاقها من التزام أصلي وراسخ بتعاليم الإسلام، التي وفرت كل الضمانات لصيانة هذه الحقوق وحمايتها؛ وارتبطت برؤيته الشاملة (يرحمه الله) للإصلاح والتطوير، والعمل من أجل خير المواطن ورفعته، وضمان حقوقه الأساسية في: التعليم، والعمل والرعاية الصحية، والاجتماعية، وحرية الرأي والتعبير؛ بالإضافة لحرصه (يرحمه الله) على أن تكون المملكة سبّاقة إلى دعم كل المبادرات والجهود الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان ـ ما لم تتعارض مع ديننا الإسلامي الحنيف وشريعتنا السمحة ـ والمبادرة إلى التصدي لأي اعتداء عليها أو انتهاك لها، والتوقيع على المواثيق والاتفاقيات والمعاهدات الدولية الخاصة بتحقيق هذه الأهداف.

وقد تم في عهده الزاهر تشكيل هيئة حقوق الإنسان السعودية، وجمعية حقوق الإنسان، وقد لقيا منه (يرحمه الله) الدعم المادي والمعنوي والتوجيه إلى تهيئة المناخ الملائم لأداء كل منهما لمهامه في إرساء ثقافة حقوق الإنسان بين كافة فئات المجتمع السعودي، بما في ذلك المقيمين بالمملكة، ودعم دور مؤسسات الرعاية الاجتماعية الحكومية والخيرية، لأداء رسالتها في حماية حقوق الفئات المستحقة للرعاية والدعم، بما في ذلك ذوي الاحتياجات الخاصة والأيتام، والأرامل، وكبار السن، وأسر السجناء ... وغيرهم.

ويستطيع الباحث أن يتبين جهوده (يرحمه الله) في حماية حقوق الإنسان وصيانتها من استعراض بعض القرارات الهامة التي تم اتخاذها في هذا الشأن، ومنها:

توجيهه (يرحمه الله) إلى تطوير المنظومة القضائية وتحديثها بما يتناسب مع احتياجات المجتمع وتطوُّر شؤون الحياة، ودعمها ـ مالياً وإدارياً ـ لتتمكن من تحقيق رؤيته في ضرورة وأهمية وجود نظام قضائي فاعل، يضمن لكل مواطن ومقيم في المملكة العدالة في حالة مثوله أمام القضاء، ويوفر له ـ في حال اتهامه ـ كل مقومات الدفاع عن نفسه، وتعويض من لم تتم إدانته بأحكام قضائية نهائية.

وتحقيقاً لتلك الغاية، وافق (يرحمه الله) على صدور أنظمة جديدة للإجراءات الجزائية والمرافعات الشرعية، والمرافعات أمام ديوان المظالم، كما حدد العديد من القوانين والقرارات التي تحفظ للإنسان حقوقه وتحميه من الظلم والاستغلال، والتي كان من أبرزها إقرار (نظام الحماية من الإيذاء)، الذي وفّر الحماية من كل أشكال الإيذاء البدني والنفسي أو التهديد به، والاستغلال والإساءة للضحايا من النساء والأطفال والخدم والعمال وكبار السن. كما صدرت لائحة العمالة المنزلية ومن في حكمهم لتنظيم العلاقة بين صاحب العمل والعامل وحفظ حقوقهما على السواء.

وكانت حقوق المرأة في قائمة أولويات خادم الحرمين الشريفين،

مسيرة موفقة

حيث حرص (يرحمه الله) على أن توضع المرأة في المكانة التي تستحقها باعتبارها نصف المجتمع، وحسبنا أن نشير إلى كلماته الصريحة التي غيّرت النظرة النمطية للمرأة، وجعلتها عنصراً فاعلاً وشريكاً كاملاً في مسيرة تنمية الوطن وتطويره، ومنها قوله (يرحمه الله):

«أن المرأة تحمل مسؤولية أكثر من الرجل حين تحافظ على استقرار المجتمع، وتساهم في بناء اقتصاد الوطن، وأن تمثل هذا المجتمع والوطن خير تمثيل خارجه وداخله، فتكون الأم الحانية، والمواطنة البانية، والموظفة المجدة، وتكون في الخارج سفيرة وطنها ومجتمعها، ولها في دينها وعقيدتها وقيم مجتمعها قدوة حسنة»؛ وقوله: «لا يمكن أن نتجاهل بأي حال من الأحوال دور المرأة السعودية ومشاركتها في

الملك عبد الله بن عبد العزيز

مسؤولية النهضة التنموية التي تشهدها بلادنا، وفي خدمة دينها وبلادها، وبناء الوطن، باعتبارها نصف المجتمع. إننا نتطلع أن يكون للمرأة دور كبير، بحيث لا يحكمنا في هذا المجال سوى ميزان الشرع، بما يحقق مصلحة الأمة»؛ فضلاً عن تأكيده في أكثر من مناسبة أنه ـ بحكم مسؤوليته القيادية ـ لن يسمح لأحد، وتحت أي تبرير، أن يهمش المرأة أو يقلل من دورها، وذلك في قوله:

«إن قيادة هذا الوطن لن تسمح لكائن من كان أن يقلل من شأن المرأة، أو يهمش دورها الفاعل في خدمة دينها ثم وطنها»؛ وقوله: **«لن نسمح أن يقال إننا في المملكة العربية السعودية نقلل من شأن أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا، ولن نقبل أن يُلغى عطاء نحن في أحوج الحاجة إليه»**.

وتأسيساً عل هذه النظرة التقديرية والتكريمية للمرأة، وجه (يرحمه الله) بتنفيذ العديد من الإجراءات التي تعطي المرأة شخصيتها الاعتبارية الكاملة، ونذكر من ذلك: السماح لها باستخراج بطاقة شخصية مستقلة عند بلوغ السن القانوني؛ وإلغاء ما كان يسمى بالوكيل الشرعي الذي كانت المرأة تتعامل من خلاله مع الجهات الرسمية بالدولة؛ والسماح لها باستخراج السجل التجاري ومباشرة أنشطتها التجارية بنفسها؛ ومشاركتها في الأنشطة الأدبية والاجتماعية، من خلال أنشطة وقاعات مخصصة للنساء، ومشاركتها في ملتقيات الحوار الوطني ـ الذي خصص الملتقى الثالث منه، والذي عقد بالمدينة المنورة، لمناقشة قضايا المرأة وطرح همومها ومشكلاتها للعمل على حلها؛ ومشاركتها في الحياة السياسية والاقتصادية، وفي صنع القرار وإبداء الرأي في قضايا المجتمع، من خلال

انضمامها لعضوية مجلس الشورى ـ الذي تبلغ نسبة تمثيلها فيه ٢٠٪، وهي نسبة غير مسبوقة عربياً، بل وفي كثير من الدول الأوربية ـ فضلاً عن تمكينها من المشاركة في الانتخابات البلدية والغرف التجارية ـ ناخبة ومرشَّحة ـ وداخل القطاعات التنفيذية المختلفة في الوزارات ـ بما فيها وزارة الخارجية ـ والجامعات والملحقيات التعليمية والمؤسسات الحكومية؛ الأمر الذي ساهم في إيجاد ثقافة جديدة تعلي من شأن المرأة وتدرك إمكاناتها وقدراتها، وتعترف بدورها كشريك أساسي في جميع مناحي الحياة، ما جعل عهده (يرحمه الله) هو (العهد الذهبي للمرأة السعودية)، وأهَّل المملكة للحصول على جوائز عالمية، باعتبارها أفضل الدول العربية في مجال حقوق المرأة.

ولم تقف عطاءات خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) عند تلبية احتياجات المرأة العاملة والقيادية والمؤهلة فحسب، بل ذهبت عطاءاته إلى المرأة (الأمية) ومتوسطة التعليم عبر دعم برنامج الأسر المنتجة، وإقرار تأنيث محلات المستلزمات النسائية لتتمكن من المساهمة في تحسين مستوى أسرتها المعيشية.

كذلك كانت حقوق ذوي الحاجات الخاصة في بؤرة اهتمامه (يرحمه الله) نظراً لظروفهم الخاصة، حيث صدرت في عهده الميمون عدة أنظمة تمكن هذه الفئة العزيزة على نفوس المجتمع من الحصول على الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية اللازمة، وإعفائهم من أية رسوم حكومية؛ وتأكيداً على حقوق تلك الفئة كانت المملكة من الدول المبادرة إلى المصادقة على اتفاقية (حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة) وبروتوكولها الاختياري.

ولم تقتصر جهوده (يرحمه الله) في حماية حقوق الإنسان على المستوى الداخلي فقط، بل كان للمملكة في عهده (يرحمه الله) حضور بارز على المستويين الدولي والإقليمي، حيث شاركت في دعم وتفعيل كثير من المواثيق والمعاهدات والاتفاقيات الدولية لحماية حقوق الإنسان في أوقات السلم أو الحرب ـ مثل بروتوكول الأمم المتحدة لمنع وقمع ومعاقبة مرتكبي جريمة الاتجار بالبشر ـ كما شاركت في إصدار الاستراتيجية العربية لمكافحة جرائم الاتجار بالأشخاص، وإعداد القانون العربي الاسترشادي لمكافحة هذه الجريمة، وكذلك القانون الاسترشادي الخليجي لمكافحة كل صور الاتجار بالأشخاص أو استغلال النساء والأطفال أو العمالة،

الملك عبد الله بن عبد العزيز

وكافة الاتفاقيات والمعاهدات ذات العلاقة بحماية الطفل والمرأة، بما لا يتعارض مع تعاليم الشريعة الإسلامية.

وكانت دعواته المتكررة (يرحمه الله) - خلال سنوات حكمه - لتكوين جبهة عالمية للتصدي للتنظيمات الإرهابية والتكفيرية، والتي تمثل ممارساتها الإجرامية اعتداءً صارخاً على كافة حقوق الإنسان، وفي مقدمتها حق الحياة في بيئة آمنة، نموذجاً لرؤية استباقية متميزة في مجال حقوق الإنسان على المستوى العالمي؛ وقد توج (يرحمه الله) تلك الرؤية الصائبة بتبرع المملكة بمبلغ (١٠٠)مليون دولار لمنظمة الأمم المتحدة لدعم جهودها في مكافحة الإرهاب والحفاظ على السلم والأمن الدوليين، وحماية حقوق الإنسان.

ونظراً لما تميزت به المملكة في عهده (يرحمه الله) في مجال حقوق الإنسان، فقد تم إعادة انتخابها للمرة الثالثة للمجلس العالمي لحقوق الإنسان.

حارس التراث والثقافة

أولى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) التراث والثقافة اهتماماً كبيراً، وذلك انطلاقاً من قناعته بأن تراث الأمة وثقافتها هما المكون الرئيس لهويتها وخصوصيتها بين الأمم، وهما السبيل لتواصل أجيالها دون انقطاع يعرض الأجيال اللاحقة للضياع، ويجعلها مسخاً مشوهاً لا شخصية له ولا هوية؛ ولذلك سعى الفقيد (يرحمه الله) - منذ أن كان رئيساً للحرس الوطني - إلى تبنّي فكرة إحياء التراث الوطني للمملكة، وتسليط الضوء على ما يحتويه من مبادئ وقيم اجتماعية وسلوكية مستمدة من ديننا الإسلامي الحنيف، كحب العمل وإتقانه، والحرص على التكسب من

ذات اليد، ومواجهة التحديات والتغلب عليها ... إلى غير ذلك من المعاني التي تكمن خلف إحياء الحرف والمهن القديمة وعرضها لأبناء الجيل الحالي؛ وهو أحد الأنشطة التي تُعرض سنوياً في المهرجان الوطني للتراث والثقافة؛ كما أن الثقافة هي أحد المحاور الأساسية التي ينهض عليها التطور في البلاد، وعلاقتها بالتراث علاقة تبادلية فكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر، ويؤدي دوراً كبيراً في ترسيخ القيم والعادات؛ ولذلك كان تلازمهما والمزج بينهما رؤية موفقة وصائبة، جسدها على أرض الواقع المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية)، الذي يدين - فكرة وتأسيساً ومتابعة وتطويراً - للفقيد (يرحمه الله)، والذي احتضنه الحرس الوطني منذ انطلاقته الأولى سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، ليؤكد على أن مهمة الحفاظ على تراث الأمة وثقافتها وحراستهما مهمة وطنية تعادل في أهميتها الحفاظ على منشآتها وترابها.

كما حرص في هذا الوقت المبكر على إقامة المشاريع الثقافية الكبرى، إسهاماً منه في نشر الفكر والثقافة بين أبناء الشعب، وكان من أبرزها مكتبة الملك عبد العزيز العامة، التي تم تأسيسها إلى جوار قصره (يرحمه الله) في مدينة الرياض سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، وقام (يرحمه الله) بدعمها ورعايتها، إلى أن تم افتتاحها سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، وتم تطويرها سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م لتصبح مؤسسة خيرية باسم: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، وكان الهدف من إقامة هذه المؤسسة الخيرية، هو توفير مصادر المعرفة البشرية وتنظيمها، وتيسير استخدامها، وجعلها في متناول الباحثين والدارسين. وتهتم المكتبة بتوثيق تاريخ المملكة العربية السعودية وتاريخ الملك عبد العزيز على وجه الخصوص، بوصفها

مسيرة موفقة

تتشرف بحمل اسمه؛ كما تبذل قصارى جهدها لرصد التراث العربي والإسلامي والإسهام في إحيائه وإخراجه بما يلائم روح العصر؛ فضلاً عما تسهم به في خدمة المجتمع من خلال إقامة الندوات والمحاضرات والمعارض والمشاركة في المناسبات الدينية والوطنية والاجتماعية، ودعم حركة البحث العلمي والتأليف والترجمة والنشر، وتنمية ثقافة الطفل، وتوفير خدمات المعلومات للمرأة، وتبادل الخبرات مع مؤسسات المعلومات على مختلف المستويات.

ونشراً للرسالة الهامة التي تقوم بها المكتبة، تم تأسيس شقيقة لها في المملكة المغربية، تحمل الاسم نفسه. كما تم تأسيس شقيقة ثالثة لها في المدينة المنورة.

تأسيساً على تلك الرؤية الشمولية

الملك عبد الله بن عبد العزيز

والعميقة لأهمية التراث والثقافة وقيمتهما الثمينة في حاضر الأمة، حرص الفقيد (يرحمه الله) عند توليه مقاليد الحكم على مواصلة جهوده واهتماماته بالتراث والثقافة، فبادر إلى تدعيم المشاريع التي تخدم هذا الجانب، حيث استمر المهرجان الوطني للتراث والثقافة في عقد دوراته السنوية المتعاقبة، برعايته ودعمه المتواصلين حتى وفاته (يرحمه الله)، مما أسهم في تطويره وتحقيقه لأهدافه باعتباره منفذاً للتواصل الفكري والثقافي بين مثقفي المملكة بعضهم البعض من جهة، وبينهم وبين المثقفين العرب والمسلمين ومثقفي العالم الغربي من جهة أخرى، وقد بلغ المهرجان دورته التاسعة والعشرين العام الماضي، وقد تم إلغاء الاحتفال به هذا العام لظروف الوفاة، على أن يواصل مسيرته الثقافية والحضارية في العام القادم إن شاء الله. وقد شارك في المهرجان منذ انطلاقته وحتى دورته التاسعة والعشرين أكثر من (٥٠٠٠) مفكر وأديب ومثقف من أنحاء العالم العربي والإسلامي والغربي، وانعقدت في كنفه أكثر من (٢٠٠) ندوة ومحاضرة وورشة عمل، وقدم للمكتبة العربية أكثر من (٤٠٠) كتاب وإصدار موثق للأنشطة الثقافية والتراثية؛ مما جعله أحد أهم وأبرز المهرجانات العربية والعالمية.

كما شجع (يرحمه الله) على إقامة المزيد من المشاريع الثقافية والتراثية الكبرى، ومنها:

•إنشاء مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي: وهو إحدى الآليات التي تعنى بالتنمية الثقافية للمواطنين ودعم قدراتهم على التعبير وممارسته معرفياً وابتكارياً؛ وذلك عبر ما يشتمل عليه من محتويات منها:

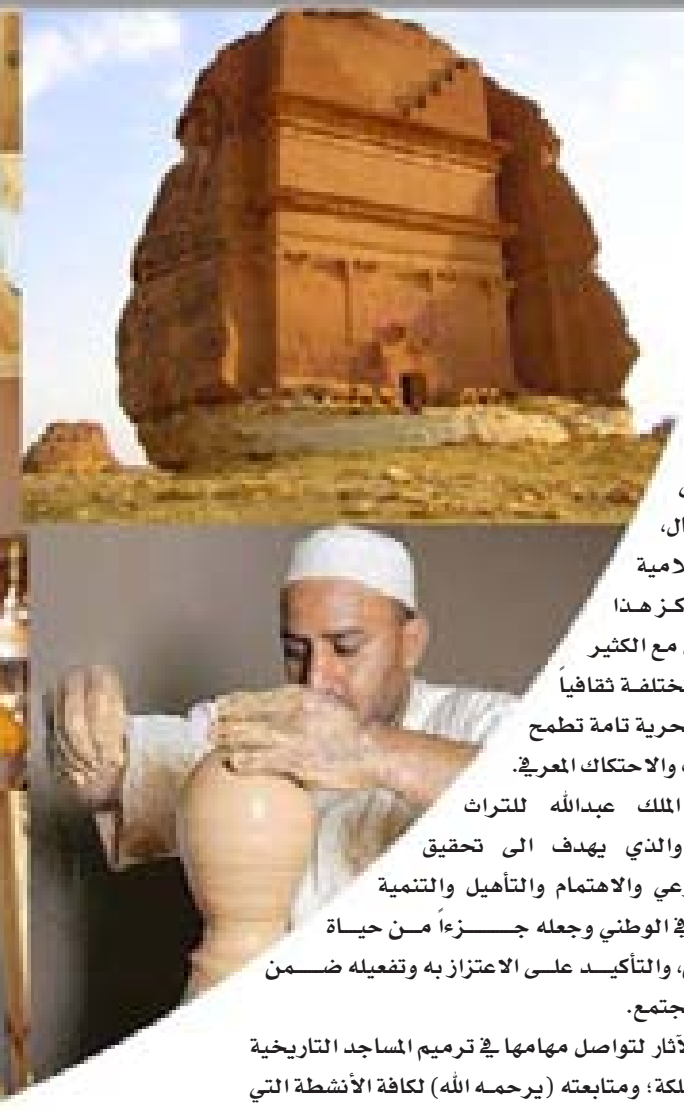

مكتبة عالمية المستوى، وقسم للمحفوظات، ومركز للتعليم المستمر، ومتحف من أربعة أقسام، إضافة إلى متحف خاص بالأطفال، وقاعات للعروض الإعلامية المتنوعة. وقد بدأ المركز هذا العام ٢٠١٥م بالتواصل مع الكثير من الدول الأخرى المختلفة ثقافياً ولغوياً بشكل مباشر وبحرية تامة تطمح إلى التطوير والتشارك والاحتكاك المعرفي.

•إقرار مشروع الملك عبدالله للتراث الحضاري للمملكة، والذي يهدف الى تحقيق الحماية والمعرفة والوعي والاهتمام والتأهيل والتنمية بمكونات التراث الثقافي الوطني وجعله جزءاً من حياة وذاكرة المواطن، والتأكيد على الاعتزاز به وتفعيله ضمن الثقافة اليومية للمجتمع.

•دعم هيئة السياحة والآثار لتواصل مهامها في ترميم المساجد التاريخية في مختلف مناطق المملكة؛ ومتابعته (يرحمه الله) لكافة الأنشطة التي تقوم بها الهيئة في مجالات التنقيب الأثري التي تبرز تاريخ المملكة والحضارات المتعاقبة على أرضها.

•رعايته (يرحمه الله) للمعارض الخاصة بتراث المملكة، والتي كان من أحدثها معارض روائع آثار المملكة، التي تبرز الآثار السعودية وتعرّف بتاريخ المملكة والحضارات المتعاقبة على أرضها ودورها في الحضارة الإنسانية.

•حرصه على إبراز تراث المملكة على المستوى العالمي، حيث استطاعت المملكة أن تسجّل في عهده الزاهر (يرحمه الله) عدداً من المواقع في قائمة التراث العالمي التابعة لليونسكو، فضلاً عن تسجيل (١٠) مواقع في قائمة التراث العالمي لدى المنظمة - بناء على طلب منها - خلال السنوات القادمة.

•موافقته (يرحمه الله) على الاستراتيجية الوطنية لتنمية الحرف

والصناعات اليدوية وخطتها التنفيذية الخمسية، لتنمية هذا القطاع الذي يسهم في حفظ جوانب من التراث الوطني، فضلاً عما يوفره من دخل لشريحة واسعة من المواطنين في كافة مناطق المملكة.

داعم الأدباء والرياضيين والفنانين

لا نغالي بالقول عندما نذكر أن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (يرحمه الله) هو الباعث الحقيقي للنهضة الأدبية والفنية في المملكة العربية السعودية، وذلك بتبنيه لفكرة المهرجان الوطني للتراث والثقافة، وسعيه إلى تحويلها إلى واقع معاش وعرساً وطنياً سنوياً للاحتفال بالتراث والثقافة، فقبل انطلاق المهرجان عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، كانت الحركة الأدبية والفنية في المملكة

الملك عبد الله بن عبد العزيز

على درجة كبيرة من التواضع، حيث كان الأدب ـ شعراً ونثراً ـ مقصوراً على فئة محدودة من الأدباء ومن المستقبلين لإبداعاتهم، وكان نشاطهم محصوراً فيما ينشر في الصحف والكتب، أو ما يُعقَد من أمسيات داخل النوادي الأدبية في مناطق ومدن المملكة؛ كما كان الفن مقتصراً على بعض الأنشطة الغنائية والمسرحية المحدودة التي تتم تحت إشراف رعاية الشباب؛ ومع انطلاقة المهرجان الوطني شهدت الحركة الأدبية والفنية مولداً جديداً، سواء من حيث تنوعها، الذي شمل في الأدب: خطابته، وشعره بشقيه: الفصيح والعامي (النبطي)؛ وشمل في الفن: الغناء ـ وخصوصاً فن (الأوبريت) الذي ولد مع مولد المهرجان وصاحبه في مسيرته، كعنصر رئيس من عناصر حفل الافتتاح ـ وكذلك فن المسرح، والفن التشكيلي (الرسم) ـ للكبار والصغار .

فقد تضمن المهرجان، منذ انطلاقته الأولى عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، العديد من الندوات الأدبية، والمحاضرات والأمسيات الشعرية، والفنون الشعبية، والمعارض الفنية، وكان الحفل الخطابي والفني الذي تتم إقامته في يوم الاحتفال من كل عام، فرصة وطنية للاحتفاء بالخطباء والشعراء والمطربين والملحنين والمخرجين ... وغيرهم من الأدباء والفنانين، لإبراز مواهبهم وقدراتهم وإبداعاتهم، والوصول بها إلى أكبر عدد من المتلقين في الداخل والخارج.

وكان هذا الأمر أحد أهداف المهرجان الرئيسة التي حرص خادم الحرمين الشريفين على تحقيقها من إقامة المهرجان وتعهده ـ منذ انطلاقته ـ بالرعاية والدعم والتوجيه، لقناعته (يرحمه الله) بأن الأدب والفن ـ بكل أنواعهما وصورهما ـ هما أحد الأساليب المعبِّرة عن ثقافة المجتمع وذوقه وسلوكه العام، المؤثرة فيها في الوقت نفسه، كما يعدان أحد آليات القوة الناعمة التي تستخدمها الدول للتأثير في محيطها الإقليمي والدولي.

لذلك كان خادم الحرمين الشريفين(يرحمه الله) حريصاً على النهوض بالأدب والفن، مسخِّراً ما يلزم من إمكانات ومتطلبات مادية ومعنوية للارتقاء بهما، مبادراً إلى تكريم المبدعين والمتفوقين من أبناء المملكة في كافة مجالاتها؛ وحسبنا أن نشير في هذا الصدد إلى بعض مظاهر هذا الدعم والتشجيع المادي والمعنوي، ومنها:

- دعمه (يرحمه الله) للنوادي الأدبية بالمملكة مالياً، حيث أمر (يرحمه الله) ـ في ربيع الثاني ١٤٣٢هـ / مارس ٢٠١١م ـ بدعم كل ناد من الأندية الأدبية بالمملكة بمبلغ قدره (عشرة ملايين ريال سعودي)، تشجيعاً منه لتلك الأندية لكي تطور من قدراتها وخدماتها وأدوارها في نشر الثقافة والمعرفة في المجتمع، ولتشجيع الأدباء على نشر إنتاجهم ووصوله إلى أكبر عدد من القراء، بما يعود على الحركة الأدبية بالتقدم والارتقاء.
- تكريمه للأدباء والشعراء الذين أثروا الثقافة العربية بعامة، والثقافة السعودية منها بخاصة، بإنتاجهم السخي وفكرهم المميز البناء، وكانت الجنادرية الساحة الأنسب لتحقيق هذه الغاية، حيث بدأ المهرجان ـ بدءاً من دورته العاشرة ١٤١٥هـ ـ في منح إحدى الشخصيات الثقافية وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى، تقديراً لها على ما أسهمت به في التاريخ الثقافي للمملكة؛ وضمت قائمة المكرمين عدداً من القمم الثقافية الرفيعة، ومنهم: الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، والعلامة الشيخ حمد الجاسر، والأستاذ محمد أحمد العقيلي، والأستاذ حسين على عرب، والأستاذ محمد حسن فقي، والأستاذ

يحيى بن عبد الله المعلمي،، والأستاذ حسن بن فهد الهويمل، والدكتور عبد العزيز الخويطر ... وغيرهم من القمم والقامات الفكرية والأدبية التي أثرت الثقافة السعودية بإنتاجها الفكري والأدبي المتميز.

• تكريمه (يرحمه الله) للفنانين وتشجيعه لهم، حيث كرّم العديد من الفنانين في الكثير من المناسبات والفعاليات، ومن تابع المهرجان الوطني للتراث والثقافة خلال عهده الزاهر، لاحظ أنه كان (يرحمه الله) يستقبل الفنانين المشاركين في الأوبريت (المطربين، والملحن، والمخرج) في المقصورة التي يتابع منها الحفل، ويحرص على مصافحتهم بشكل أبوي يحمل الكثير من التقدير، مبدياً الاحتفاء بهم، مهنئاً لهم على أدائهم، ومحفزاً على

المزيد من الإبداع والعطاء. وكان الفنانون يفخرون بهذا التقليد، ويعتبرونه تكريما وتقديراً عظيمين للفن والفنانين.

أما تشجيعه للرياضة وتكريمه للرياضيين، فهو أمر طبيعي من قائد نهضوي لدولة تصل نسبة الشباب فيها إلى أكثر من ٦٠ ٪ من مجموع السكان، وأب عصري يعلم أن الرياضة هي الطريق الأمثل لبناء الأجساد الصحيحة، والبعد عن السلوكيات المدمرة لأوقات الشباب وصحتهم وأموالهم، بل ودينهم وأخلاقهم، كما في حالات التطرف الفكري، أو التطرف السلوكي كتعاطي المخدرات وإدمانها، فضلاً عن أنه رائد من رواد رياضة الفروسية ومؤسسيها، كما أوضحنا في حديثنا عن سيرته العطرة (يرحمه الله). لهذا كله، كان (يرحمه الله) مهتماً بالرياضة والرياضيين اهتماماً كبيراً، وهذا الاهتمام كثير المظاهر، متعدد النتائج، ويمكننا أن نلحظ مظاهره في الأمور التالية:

• أمره (يرحمه الله) بدعم الأندية في كافة مناطق المملكة، حيث أمر (يرحمه الله) ــ في ربيع الثاني ١٤٣٢هـ / مارس ٢٠١١م ــ بدعم كل نادٍ رياضي من أندية الدوري الممتاز بمبلغ قدره عشرة ملايين ريال، وكل نادٍ من أندية الدرجة الأولى بمبلغ قدره خمسة ملايين ريال، وكل نادٍ من بقية الأندية المسجلة رسمياً في وزارة الشباب والرياضة بمبلغ قدره مليوني ريال. وكان الهدف من هذا الدعم المالي السخي من قبله (يرحمه الله)، هو تمكين تلك الأندية من الوفاء بالتزاماتها، ودفع مسيرتها الرياضية إلى آفاق أرحب، وتطوير قدرات لاعبيها في مختلف الأنشطة الرياضية لتحقيق المزيد من الإنجازات الرياضية السعودية في المنافسات الإقليمية والدولية.

• اعتماد الميزانيات الكبرى لإقامة المنشآت الرياضية العملاقة، والتي تضاهي مثيلاتها في دول العالم المتقدم، وحسبنا أن نشير في هذا المجال إلى الهدية الغالية التي قدمها قبل وفاته (يرحمه الله) لشباب الوطن وأبنائه ممثلة في مدينة الملك عبد الله الرياضية بجدة، والتي جذبت لها الأنظار، وحظيت بإشادات واسعة ليس على الصعيد المحلي فقط، بل على مستوى العالم.

وقد رعى فقيد الأمة (يرحمه الله) حفل افتتاح ملعب الملك عبد الله بن عبد العزيز (الجوهرة المشعة) بالمدينة الرياضية في الأول من مايو ٢٠١٤م، وشهد الافتتاح إقامة مباراة نهائي بطولة خادم الحرمين الشريفين بين نادي الأهلي السعودي ونادي الشباب السعودي، والتي انتهت بفوز نادي الشباب السعودي بنتيجة ثلاثة أهداف دون مقابل.

ولم يكتف خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) بذلك بل أصدر أمراً ملكياً بإنشاء (١١) ملعباً رياضياً في مختلف مناطق المملكة على غرار ملعب مدينة الملك عبدالله الرياضية بجدة، هدية منه (يرحمه الله) لرياضيي الوطن، وخُصصت عشرات المليارات في عهده للشباب والرياضة، وقد ذهب جزء كبير منها لمقار الأندية وملاعبها وتطويرها حتى تواكب المعايير الإقليمية والعالمية.

• حرصه (يرحمه الله) على استقبال الرياضيين في الديوان الملكي عند عودتهم من خارج الوطن محققين بطولات في المسابقات الرياضية، فردية كانت أم جماعية، والاحتفاء بهم في جو أبوي بهيج، واستماعه (يرحمه الله) إلى مشاعرهم وطموحاتهم، والتلطف معهم

بكلمات ودودة وتعليقات تحمل روح الدعابة والألفة، وتثمين ما حققوه لوطنهم وشعبهم من بطولات، وتوجيههم نحو إنجاز المزيد، والتأكيد على أن الدولة ستظل على دعمها السخيّ وتشجيعها المتواصل لهم.

وكان لهذا الدعم والتشجيع من قبل خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) تأثيره الإيجابي على الرياضة والرياضيين، وعلى الأندية الرياضية، حيث ارتفع مستوى الأداء الرياضي في المملكة بصورة واضحة، انعكست على مشاركات الفرق الرياضية في مختلف الألعاب والأنشطة في المسابقات الخارجية، وحققت المملكة في عهده الزاهر العديد من البطولات والمراكز المتقدمة، خليجياً وإقليمياً وقارياً.

الملك عبد الله بن عبد العزيز

نصـــير القضايا العربـية والإسلامية

«انطلاقاً من عقيدتنا السمحاء التي أمرتنا بالتكافل كمواطنين، والتراحم كمسلمين، والتضامن كعرب، فإن المملكة العربية السعودية ـ ومنذ أن تجسدت راية التوحيد نواة للوحدة الإسلامية الشاملة ـ كانت ومازالت تبذل كل جهد في سبيل توحيد المسلمين هدفاً والعرب كلمة».

للمملكة العربية السعودية قدرها الكبير ومكانتها الرفيعة في محيطيها العربي والإسلامي، وذلك لاعتبارات كثيرة، من أبرزها: أنها موطن الحرمين الشريفين اللذين تجتمع قلوب المسلمين في كل مكان على محبتهما والتوجه إليهما للصلاة والحج والعمرة والزيارة؛ ولأن المملكة ـ منذ توحيدها وتأسيسها على يدي الملك عبد العزيز (طيب الله ثراه) ـ وهي تتبع سياسة خارجية معتدلة ومتزنة، تقوم على مبادئ حسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وتعزيز العلاقات مع دول الخليج والجزيرة العربية، ودعم العلاقات مع الدول العربية والإسلامية بما يخدم المصالح المشتركة لهذه الدول ويدافع عن قضاياها، وانتهاج سياسة عدم الانحياز، وإقامة علاقات تعاون مع الدول الصديقة، ولعب دور فاعل في إطار المنظمات الإقليمية والدولية.

وقد جعلتها هذه الثوابت مقصداً ومرجعاً لقادة الشعوب العربية والإسلامية، طلباً للمشورة، والتفاهم، وتبادل الرأي، والحصول على التأييد والدعم فيما يخص العالم العربي والإسلامي من طموحات وتحديات وتطلعات وتهديدات، وذلك باعتبارها إحدى الدول المركزية في المنظومتين العربية والإسلامية، المؤسسة لمنظماتها السياسية ـ كجامعة الدول العربية، ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمة العالم الإسلامي ... وغيرها ـ وباعتبارها من الدول العربية الكبرى ذات الثقل الدولي والإقليمي المؤثر لوضعها الاقتصادي والسياسي الراسخ والمستقر، فضلاً عن مكانتها الدينية المؤثرة.

وكانت تلك الثوابت، إضافة إلى شخصية فقيد الأمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (يرحمه الله) المحببة للشعوب العربية المسلمة لما عُرف عنه من صدق القول وإخلاص العمل، وإرادة الخير للأمة جمعاء، سبباً في تسليط الضوء عليه (يرحمه الله) عربياً وإسلامياً ودولياً، خصوصاً وأن فترة حكمه (يرحمه الله) وما قبلها كانت حبلى بالمفاجآت الإقليمية والدولية، حيث ماجت المنطقة ـ ومازالت تموج ـ بالاضطرابات والصراعات والتغييرات المتلاحقة، الأمر الذي ألقى بأعبائه الثقيلة على كاهله، حيث تطلّعت إليه أبصار قادة وشعوب المنطقة والعالم بحثاً عن حلول للأزمات التي شهدتها الدول العربية، باعتباره القائد العربي المسلم الأجدر بتحقيق ذلك، استناداً إلى شخصيته الملتزمة المتزنة المعتدلة المتجردة، ورؤيته الثاقبة؛ واعتماداً على مواقفه من قضايا أمته، ودفاعه الدائم عنها، ومناصرته لها، ونجاحاته المتكررة في تقريب وجهات النظر بين الفرقاء، حتى أصبح يُلقّب بـ: (حكيم العرب)، وهو لقب مستحق، أكده (يرحمه الله) بأقواله وأعماله؛ فمن أقواله التي تعكس حكمته وتقديره للمسؤولية التي تقع على عاتق المملكة تجاه عالمها العربي والإسلامي، قوله في إحدى المناسبات:

«المملكة دورها السياسي لا ينحصر فقط في تأمين سلامة الأمن الوطني السعودي، المملكة لها دور قومي، ولها دور إسلامي ... وضعنا مختلف عن غيرنا؛ لذا فإن رجالات الحكم هنا تعي هذا الدور، وكونها تعي ذلك فلا مبرر لخشية من ألّا يحافظ الخلف على ما صنعه السلف».

أما أعماله فيستطيع المتابع أن يرصدها في مواقفه تجاه القضايا العربية والإسلامية التي وقعت في عهده، أو كانت قائمة قبل تسلمه الحكم واستمرت في عهده (يرحمه الله)، ونذكر منها:

•موقفه من القضية الفلسطينية، حيث استمرت المملكة بقيادته (يرحمه الله) على مواقفها الثابتة والنبيلة والمشرفة منها، وذلك على اعتبار أن تلك

القضية تعد عنده، وعند كل قادة المملكة، بدءاً بالعاهل المؤسس (طيب الله ثراه)، القضية الأولى للعرب والمسلمين، فعندما سئل (يرحمه الله) في مقابلة له في الأردن عن القدس، أجاب بقوله:

« لا يمكن للعرب وللمسلمين التراجع أو التنازل عن القدس ... إن السعودية لا تساوم على موقفها تجاه القضايا العربية والإسلامية، وإن القدس ستظل أمانة في أعناقنا، ولا تنازل عنها أو مهادنة دون حقوقنا المشروعة». وظل (يرحمه الله) طيلة حياته يناصر القضية الفلسطينية، منتقداً الموقف الإسرائيلي المراوغ بشأن ما كان يعرض من مبادرات للحل السلمي، والتي كان من أبرزها الحل الذي طرح في مؤتمر مدريد للسلام سنة ١٩٩١م، والذي قبل به الطرفان حينها، ولكن إسرائيل ما لبثت أن تهربت من استحقاقات السلام؛ ولم يتردد الفقيد حينها في فضح المسلك الإسرائيلي وكشف أكاذيبه التي كان يروج فيها إلى أن العرب يرفضون عروضها للسلام، فعندما كان (يرحمه الله) في زيارة للولايات المتحدة سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م وجه خطاباً للأمريكيين وللعالم أجمع، كان مما جاء فيه:

« إن عملية السلام تمر بالكثير من الصعوبات والعقبات الناتجة عن عدم جدية الحكومة الإسرائيلية والالتزام بمتطلبات العملية السلمية المرتكزة على مبادئ مؤتمر مدريد للسلام، خاصة مبدأ الأرض مقابل السلام، والقرارات الشرعية الدولية، وأن القدس جزأ لا يتجزأ من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م، وينطبق عليها القرار ٢٤٢ الذي صدر من مجلس الأمن».

ولم تتوقف جهوده (يرحمه الله) عند حد توجيه النقد وفضح محاولات التهرب الإسرائيلي من استحقاقات السلام، بل حاول بنفسه أن يعمل على حلها حلاً عادلاً يعيد للفلسطينيين وطنهم المسلوب وحقوقهم الضائعة، فعندما كان ولياً للعهد، وضع تصوراً شاملاً مكوَّن من ثمانية مبادئ للتسوية العادلة للقية الفلسطينية ـ عرف حينها باسم: (مشروع الأمير عبد الله بن عبد العزيز) ـ وقدَّمه لمؤتمر القمة العربية في بيروت عام ٢٠٠٢م، وقد لقي المشروع المقترح قبولاً عربياً ودولياً، وتبنته تلك القمة كرؤية عربية للحل، وأصبح منذ ذلك الحين يعرف بـ: (مبادرة السلام العربية)، وأكدتها جميع القمم العربية اللاحقة، وآخرها القمة العربية التي عقدت قبل وفاته (يرحمه الله) بمدينة الرياض.

من جهة أخرى كان (يرحمه الله) حريصاً على مؤازرة الشعب الفلسطيني ودعمه ـ معنوياً ومادياً ـ لتجاوز عقباته، ففي القمة العربية الطارئة التي عقدت بالقاهرة عام ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، دعا يرحمه الله إلى إنشاء صندوقين: أحدهما للمسجد الأقصى، والآخر لدعم الانتفاضة الفلسطينية، بموارد قدرها مليار دولار، التزمت المملكة منها بربع المبلغ؛ وفي عام ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، وجَّه (يرحمه الله) بتخصيص منحة مقدارها (٢٥٠) مليون دولار للشعب الفلسطيني، لتكون نواة لصندوق عربي دولي لإعمار فلسطين. كما كان (يرحمه الله) حريصاً على توحيد الصف الفلسطيني وتقريب وجهات النظر بين قياداته السياسية لإزالة ما بينها من خلافات، ولا ينسى أحد مساعيه الخيرة للتقريب بين قادة حركة فتح وقادة حركة حماس الفلسطينيتين لإنهاء الانقسام الناشئ بينهما، والذي ترك ـ وما زال يترك ـ آثاره السلبية على القضية الفلسطينية.

- مؤازرته (يرحمه الله) للشعب اللبناني فيما تعرض له من

عدوان إسرائيلي غاشم في صيف عام١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، تسبب في قتل وتشريد آلاف اللبنانيين، وتدمير البنية التحتية اللبنانية، حيث قام خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) - في ١٦ يوليو ٢٠٠٦م - بتحويل (٥٠) مليون دولار أمريكي لتكون تحت تصرف رئيس الوزراء اللبناني (فؤاد السنيورة) للإنفاق منها على الاحتياجات الإغاثية العاجلة، وتوفير الخدمات اللازمة للتخفيف من معاناة الشعب اللبناني؛ كما قام (يرحمه الله) - في ٢٥ يوليو ٢٠٠٦م - بتخصيص منحة قدرها (٥٠٠) مليون دولار أمريكي لتكون نواة لصندوق عربي دولي لإعمار لبنان، فضلاً عن توجيهه بإيداع وديعة قدرها مليار دولار لمساندة الاقتصاد اللبناني.

الملك عبد الله بن عبد العزيز

واقترن الدعم المالي للبنان بدعم سياسي ودبلوماسي تمثل في قيام الفقيد (يرحمه الله) بإجراء العديد من المحادثات مع قادة العالم وزعمائه لبيان خطورة الوضع في لبنان وتداعياته السلبية على منطقة الشرق الأوسط برمتها، وضرورة توحيد الجهود العربية والدولية لوقف العدوان الإسرائيلي على لبنان، والضغط على إسرائيل لسحب قواتها من جنوب لبنان لتعيد الحكومة اللبنانية السيطرة على كامل أراضيها. وفي السياق نفسه، أرسل (يرحمه الله) وزير خارجيته صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل، يرافقه صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن سلطان إلى رئيس الوزراء البريطاني ـ آنذاك ـ (توني بلير) برسالة شفهية تتعلق بخطورة الوضع في لبنان وضرورة العمل على إنهائه بأسرع وقت ممكن. كما وجه (يرحمه الله) للبدء في حملة تبرعات شعبية في جميع مناطق المملكة، ودعا الشعب السعودي ـ بما عرف عنه من سخاء ووفاء وحمية لأمته العربية والإسلامية ـ للتبرع لأشقائهم في لبنان وفلسطين التي كانت تتعرض للعدوان الإسرائيلي في الوقت ذاته.

• سعيه (يرحمه الله) ـ عندما اندلعت الحرب في سوريا ـ إلى تقريب وجهات النظر وإسداء النصح للقيادة السورية بألاّ تستمر في عدوانها على شعبها، وحينما تأكد (يرحمه الله) من إصرار القيادة السورية على المضي في غيها، وتقتيل وإبادة شعبها، أعلن موقف المملكة صريحاً بالوقوف إلى صف الشعب السوري المظلوم مناصراً له ومؤيداً.

• تدخله (يرحمه الله) ـ مدعوماً من قادة ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ عندما بلغت الأزمة اليمنية ذروتها بين القيادة السابقة

والشعب اليمني، وكادت الأحداث تنذر بحرب أهلية يمنية ـ لحل الأزمة عبر (المبادرة الخليجية) التي هدّأت الأوضاع ونزعت فتيل الفتنة، وقادت البلاد إلى التغيير السلمي للسلطة والبدء في مرحلة انتقالية تهدف إلى استقرار البلاد.

• موقفه الحاسم والقوي والشجاع من الأحداث التي شهدتها الساحة المصرية إبان الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م، والتي تعرضت فيها مصر لتهديد داخلي مدعوم من الخارج استهدف أمنها واستقرارها، فبادر (يرحمه الله) إلى تأييد خيار الشعب المصري، معلناً تحالف المملكة مع مصر بعد محاولات التهديد والحصار التي سعت بعض الدول الإقليمية والدولية لفرضه عليها، وحينما هددت بعض الدول بقطع معوناتها عن مصر، أعلن ـ على لسان وزير خارجيته ـ أن المملكة ستعوض مصر عن تلك المعونة. ولم يقف التأييد عن الحدود الدبلوماسية والسياسية والمعنوية، بل امتد إلى الدعم المادي السخي الذي مازال موصولاً لإخراج مصر من أزمتها الاقتصادية بعد إخراجها من أزمتها السياسية. هذا فضلاً عما قام به من جهود مضنية ومساع خيرة من أجل تصفية الأجواء المحتقنة بين جمهورية مصر العربية ودولة قطر الشقيقة، ونجاحه (يرحمه الله) في نزع فتيل التوتر، وإعادة العلاقات إلى هدوئها.

وعلى المستوى الإسلامي، ظلَّ الفقيد محافظاً على نهج المملكة الثابت تجاه الأمة الإسلامية، حيث حرص (يرحمه الله) على مواصلة جهود المملكة في نشر الدعوة الإسلامية، والمبادرة إلى بناء المساجد في مشارق الأرض ومغاربها وتزويدها بما تحتاج إليه، وإنشاء المراكز والهيئات والمؤسسات الإسلامية في جميع أرجاء المعمورة دعماً للمسلمين

مسيرة موفقة

في كل مكان، إلى جانب تقديم المنح الدراسية لأبناء المسلمين للدراسة في الجامعات والمعاهد السعودية.

وكان (يرحمه الله) حريصاً على تعزيز التضامن الإسلامي، وتفعيل أنشطة منظماته (منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي) وحثها على تجديد رؤيتها وأساليب تعاملها مع القضايا التي تهم المسلمين وتؤثر سلباً على حاضرهم ومستقبلهم، وخصوصاً ظاهرة الإرهاب، التي سعت بعض الجهات المشبوهة إلى إلصاقها بالدين الإسلامي الحنيف، عبر استغلال ما تقوم به بعض الفئات الضالة والعناصر المتطرفة، والتي لا تخلو منها أمة من الأمم، من أعمال منافية لهدي الإسلام، والترويج لفكرة أن الإرهاب هو تجسيد للدين وتنفيذ لتعليماته، وذلك لتشويه صورة الإسلام وحضارته المشرقة، التي اقتبست الحضارة الغربية

المعاصرة إشعاعاتها منه لتقيم نهضتها العلمية والفكرية.

وتحقيقاً لذلك الوعي بدور المسلمين في مواجهة ما يشن عليهم من حملات تشويه وإساءة إلى دينهم، ووضع خطة استراتيجية واضحة لمواجهة ذلك، دعا (يرحمه الله) إخوانه زعماء وقيادات العالم الإسلامي لعقد قمة استثنائية في مكة المكرمة يومي الخامس والسادس من شهر ذي القعدة من عام ١٤٢٦هـ، ليناقش معهم في وضوح وصراحة، أوضاع الأمة الإسلامية وما آلت إليه من ضعف وتشويه، بسبب انتشار الفكر الضال بين بعض شبابها، وما ترتب على ذلك من تشويه لصورة الإسلام، مطالباً الجميع بالوقوف وقفة صادقة وحازمة مع النفس حول إصلاح شأن الأمة، والتصدي بكل حزم لدعاة الفتنة والانحراف، الذين يستهدفون تحريف مبادئ الإسلام السامية، الداعية إلى المحبة والسلام والوئام، مؤكداً ذلك بقوله (يرحمه الله):

«لا بد لكي تنهض الأمة من كبوتها أن تطهّر عقلها وروحها من فساد الفكر المتطرف المنحرف، الذي ينادي بالتكفير وسفك الدماء وتدمير المجتمعات»، مشيراً إلى الجهة المنوط بها ذلك بقوله: **«ونحن جميعاً نتطلع إلى أن يقوم مجمع الفقه الإسلامي في تشكيله الجديد بدور عظيم، يشبه الدور الكبير الذي قام به علماؤنا الأعلام عبر تاريخنا في مقاومة الغلو ونشر الاعتدال».**

ومع محاولاته وجهوده المستمرة لإصلاح البيت الإسلامي من الداخل، فإنه (يرحمه الله) لم يتوان عن الدفاع عن المسلمين وقضاياهم في المحافل الدولية، فضلاً عن توجيهه للجهات المعنية بالشأن الإسلامي بالمملكة، للتواصل مع الأقليات المسلمة في مختلف أرجاء المعمورة، عبر المراكز الإسلامية المسموح لها في دول العالم، لتشجيع تلك الأقليات ودعمهم للحفاظ على هويتهم الإسلامية، والتمسك بتعاليم الإسلام، والتواصل بينهم وبين الأمة الإسلامية؛ مع حثهم على الالتزام بأنظمة وقوانين وسيادة الدول التي يحملون جنسيتها، والمحافظة على السلوك السوي الذي يحفظ لهم حقوقهم، ويجعلهم عنصراً فاعلاً في تلك الدول.

وكانت تلك الجهود المخلصة التي بذلها خادم الحرمين الشريفين (يرحمة الله) من أجل تحسين صورة الإسلام، ودعم المسلمين في كل إنحاء العالم، وإصلاح بيتهم من الداخل سبيلاً إلى أن تجعله (يرحمه الله) قائد المسلمين الأول على المستوى العالمي.

داعية الحوار والتقارب الثقافي والحضاري

عاصر فقيد الأمة الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) ـ أثناء ولايته للعهد وبعد تسلمه مقاليد الحكم ـ أقوى فترات التطرف والتعصب والغلو، سواء داخل المملكة أو خارجها، وتحولت هذه الظاهرة الخطيرة من مجرد قناعات ومعتقدات تعشش في عقول أصحابها، وتتردد في أحاديثهم وكتاباتهم، إلى أعمال إجرامية تخريبية تستهدف الآمنين والمستأمنين، وتحل ما حرَّم الله من دماء معصومة وأموال مصونة، فكانت المواجهة الأمنية الحازمة للإجرام والتخريب للقضاء على عناصره وتخليص المجتمع من مخاطره.

وعلى الرغم من نجاح المواجهات الأمنية في تحجيم الإرهاب ومحاصرة عناصره، إلا أن خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) رأى بثاقب فكره وبعد نظره أن القضاء على شأفة الإرهاب يتطلب مواجهة فكرية يشارك فيها أهل الرأي والفكر ويتداولون من خلالها ـ

بصدق وشفافية ووضوح ـ الأسباب التي أدت إلى انتشار التطرف والغلو والتعصب، وخصوصاً بين فئات الشباب، ووضع الحلول الفكرية للقضاء على هذه الظاهرة الغريبة والدخيلة على ديننا الإسلامي الحنيف ومجتمعنا السعودي الملتزم.

وكان (يرحمه الله) على قناعة تامة بأن السبيل إلى تحقيق هذه الغاية هو فتح قنوات الحوار بين كافة الأطياف الفكرية أياً كانت توجهاتها، مع التزام الجميع بأدب الحوار الإسلامي من دعوة إلى سبيل الله بالحكمة والمعروف والموعظة الحسنة، وجدال بالتي هي أحسن للخروج برؤية واضحة عن القضايا التي تم الحوار بشأنها: أسبابها، ومظاهرها، ومخاطرها، وكيفية علاجها

والتخلص منها؛ ومن هنا انطلقت فكرة تأسيس مراكز الحوار، التي تجسدت في:

• (مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني): وهو مشروع وطني ثقافي وحضاري فريد من نوعيه في منطقة الشرق الأوسط، ويهدف إلى إيجاد المناخ المناسب لتداول الأفكار والآراء عبر حوار هادئ موضوعي ملتزم بين النخب الوطنية الفكرية والثقافية وغيرها من الأطياف الأخرى ذات الرؤى المتعددة والمختلفة، لتكوين قناعات محددة وأفكار متوافقة فيما يتعلق بالقضايا الوطنية، اجتماعية كانت أم اقتصادية أم ثقافية أم سياسية، وصولاً إلى اتفاق مجتمعي تتم من خلاله مواجهة التطرف بالاعتدال، والغلو بالوسطية، والتعصب بالتفاهم والموضوعية؛ وهو ما أشار إليه الفقيد (يرحمه الله) عند افتتاح المركز بقوله: **« ... ولا يراودني أدنى شك أن إنشاء المركز وتواصل الحوار تحت رعايته سوف يكون بإذن الله إنجازاً يسهم في إيجاد قناة للتعبير المسؤول، سيكون لها أثر فعال في محاربة التعصب والغلو والتطرف، ويُوجد مناخاً نقياً تنطلق منه المواقف الحكيمة، والآراء المستنيرة، التي ترفض الإرهاب والفكر الإرهابي».**

وعلى الرغم من انطلاق المركز في أعماله منذ عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، إلاّ أنه شهد نشاطاً ملموساً وتحركاً فاعلاً خلال عهد خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله)، حيث إنه نفذ تسع لقاءات وطنية للحوار الفكري، ونظم العشرات من اللقاءات التحضيرية التي شملت جميع مناطق المملكة؛ كما نظم ثمانية لقاءات نوعية تناولت مستقبل الخطاب الثقافي السعودي، والعديد من الندوات واللقاءات والفعاليات الحوارية الأخرى في جميع

مناطق وأغلب مدن المملكة.

كما ناقش المركز خلال تلك اللقاءات العديد من القضايا الهامة والشائكة التي تهم المجتمع، وطرحها على طاولة الحوار، لتتم مراجعتها ونقد مواضع الخلل فيها، وصياغة ذلك كله في آراء واضحة تتوافق مع الثوابت الدينية والهوية الثقافية للمجتمع.

واستطاع المركز - منذ انطلاقة أعماله - أن يُشرك أغلب فئات المجتمع في الحوار الوطني، وأغلب المؤسسات الوطنية والتعليمية الفاعلة، ومؤسسات المجتمع المدني، وكذلك المسجد والأسرة والمدرسة، لإيمان القائمين على المركز بأهمية دوره في ترسيخ ثقافة الحوار وتأصيلها في المجتمع. وشهدت اللقاءات الوطنية عدة تحولات خلال الأعوام الماضية كان لها الأثر الأكبر في أداء المركز، وانطلاق أعماله في آفاق أوسع، كما استطاع - عبر أكاديمية الحوار للتدريب واستطلاعات الرأي - أن ينفذ العديد من برامج التدريب المجتمعي التي استفاد منها مليون مواطن ومواطنة من كل القطاعات، كما استطاع أن يخرج قرابة ثلاثة آلاف مدرب ومدربة مؤهلين للتدريب على ثقافة الحوار ونشرها في المجتمع، إضافة إلى الدراسات واستطلاعات الرأي - التي تقدمها الأكاديمية - لخدمة توجيهات المركز وإيصال رسالته المتعلقة بنشر ثقافة الحوار.

وظل المركز - منذ تأسيسه - يحظى بالاهتمام والرعاية والدعم المتواصل - مادياً وإدارياً - من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، حيث وجّه (يرحمه الله) - في شهر رمضان من العام ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م - بتشكيل مجلس أمناء جديد للمركز، يضم نخبة من العلماء والمفكرين الذين يمثلون جميع الأطياف الفكرية للإشراف على البرامج والسياسات والمشاريع المستقبلية للمركز، وكان هذا القرار بمثابة

مسيرة موفقة

انطلاقة جديدة للمركز نحو تحقيق رسالته السامية في تعزيز ونشر ثقافة الحوار والوسطية والاعتدال، وصولاً إلى رؤى وطنية متوافقة تدعم مسيرة الوطن نحو الرقي والازدهار، وترسّخ لدى المواطنين مقومات التفاهم والتعاون والاستقرار.

• (مركز الملك عبد الله للدراسات الإسلامية المعاصرة وحوار الحضارات): وتم تأسيسه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ويهدف إلى تحقيق التميز في الدراسات والبرامج المتخصصة، بما يتناسب مع مكانة المملكة ومسؤوليتها الحضارية، وتعزيز مبادرة خادم الحرمين الشريفين لحوار اتباع الأديان والحضارات، وليكون المركز رائداً

الملك عبد الله بن عبد العزيز

في تقديم صورة مشرقة عن الإسلام الوسطي المعتدل من خلال: إبراز عظمة الإسلام في علاج القضايا المستجدة، والتعريف بالنظم الإسلامية وإظهار تميزها، والتعريف بحقوق الإنسان في الإسلام، والعناية بقضايا الشباب ومشكلاتهم، والعناية والاهتمام بقضايا المرأة وحقوقها، وبيان موقف الإسلام من الإرهاب، وبيان مواقف المملكة من القضايا العالمية المعاصرة، والاهتمام بقضايا العالم الإسلامي المستجدة، والتأصيل الشرعي لثقافة الحوار، والتعرُّف على الحضارات المعاصرة، وترسيخ مفاهيم التواصل والحوار للحضارة الإسلامية وسائر الحضارات.

- (جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة): وقد تم إطلاقها عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، لتكون جسراً للتواصل المعرفي والثقافي وقناة للحوار الحضاري بين الشعوب المسلمة والشعوب الغربية. وقد رسخت الجائزة صفتها العالمية منذ دورتها الأولى وصعدت بقوة لتتصدر قائمة جوائز الترجمة على الصعيدين الإقليمي والدولي، حيث استضافت مدينة جينيف السويسرية ـ يوم ٢٤ ربيع الأول ١٤٣٦هـ / ١٥ يناير ٢٠١٥م ـ حفل تسليم الجائزة في دورتها السابعة.
- (مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين الأديان):

وقد أشتدت الحاجة إليه عندما بلغت دعوات الكراهية ضد الإسلام والمسلمين مداها بعد أحداث برجي التجارة عام ٢٠٠١م، ووصل الأمر حد مطالبة بعض المتطرفين في الولايات المتحدة بضرب الكعبة المشرفة رداً على ضرب برجي التجارة، فضلاً عن شيوع أعمال العنف ضد المسلمين ورموزهم الدينية من مهاجمة المساجد وحرق للمصاحف والتهكم على الرسول المصطفى (صلى الله عليه وسلم).

ولم تثمر الحرب على الإرهاب، التي أزكت أوارها الولايات المتحدة وبريطانيا، عن شيء، بل زادت من أعداد المتطرفين والمتشددين الذين وجدوا في التدخل الأمريكي في أفغانستان والعراق، وتدميرهم المتعمد لكافة مؤسسات الدولة وتحويلها ـ وبخاصة العراق ـ إلى ساحة للصراع المذهبي والطائفي ـ فرصة لمبادلة التطرف الأمريكي النصراني بتطرف عربي إسلامي، ما جعل التيار الإسلامي المتطرف أكثر عنفاً وتطرفاً، وأكثر استقطاباً للشباب المسلم الغرّ، الذي لم يجد من يوجهه وجهته الصحيحة من علماء المسلمين ومفكريهم المعتدلين، فانساق خلف دعاة الفتنة والقتل والتخريب.

وإزاء هذا الواقع المضطرب، بادر خادم الحرمين الشريفين ـ انطلاقاً من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالونَ مُخْتَلِفينَ﴾ (هود ١١٨)، وقوله سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة ٤٨) ـ عام ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ـ الذي شهد ثلاثة مؤتمرات لدعم ثقافة الحوار وتعزيزها بين المسلمين وغيرهم ـ كان أولها في (مكة المكرمة)، وثانيها في (مدريد)، وثالثها في (نيويورك)، وقد حضرها جميعاً خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) وأكد فيها على أن المملكة تدعو العالم أجمع بثقافاته وديانته المختلفة إلى التعايش والحوار العاقل والعادل، في مناخ تسوده الحكمة والموعظة والجدال بالتي

مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات العاصمة النمساوية (فيينا)

هي أحسن؛ مشيراً إلي حاجة البشرية جمعاء إلى هذا الحوار والتفاهم والتعايش، الذي لم يُنزل الله تعالى أديانه ويبعث رسله إلاّ من أجل إقراره والعمل على تحقيقه.

وقد لقيت دعوته (يرحمه الله) آذاناً صاغية وقبولاً دولياً، وتبنّتها الأمم المتحدة ودعمتها، إلى أن أتت جهوده في هذا الشأن أكلها بتأسيس وافتتاح (مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي لحوار الأديان) - في ١٢ محرم ١٤٣٤هـ/الموافق ٢٦ نوفمبر ٢٠١٢م - في العاصمة النمساوية (فيينا) كمنظمة دولية؛ وقد شارك المملكة في تأسيسها كل من جمهورية النمسا ومملكة أسبانيا، ليتولى مهمة تعزيز ثقافة الحوار والتفاهم والتقارب والتسامح والتعايش بين أتباع الديانات والثقافات والحضارات المختلفة؛

الملك عبد الله بن عبد العزيز

لتحل محل ثقافة الصدام والمواجهة الناشئة عن الخوف والكراهية والعنف التي سادت العالم الغربي، بخاصة ضد الإسلام ورسوله (صلى الله عليه وسلم) وألصقت بهما - زوراً وبهتاناً - صفات العنف والإرهاب ... وغيرها.

• الدعوة إلى إنشاء (مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحوار بين المذاهب):

كان خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) يراقب عن كثب ما يدور بين أنصار المذاهب الإسلامية من صراعات، والتي ظهرت بجلاء في (مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية) الذي عقد في الفترة من ٢٠ - ٢٢ يناير ٢٠٠٧م، حيث شهد المؤتمر شجاراً ساخناً بين علماء سنة وشيعة حول المد الشيعي الإيراني في العراق وسورية وفلسطين ... وغيرها من الدول الإسلامية. وبلغ الصراع ذروته بين أتباع المذهبين في الأحداث الدامية التي تمت في العراق ولبنان واليمن والبحرين وسورية، حيث كان الخلاف المذهبي بين الشيعة والسنة يقف خلف العديد من المعارك والأحداث الدامية التي شهدتها تلك الأقطار الإسلامية.

وإزاء تلك الأحداث الدامية، التي كان ضحاياها هم أبناء المسلمين من أنصار المذهبين، دعا خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) إلى قمة (مؤتمر التضامن الإسلامي)، انعقدت بمكة المكرمة في ٢٦ - ٢٧ رمضان ١٤٣٣هـ/٨ - ٩ أغسطس ٢٠١٢م - وفيها، أطلق خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) مبادرته الحكيمة إلى تأسيس مركز للحوار بين المذاهب الإسلامية، تكون (الرياض) عاصمة المملكة مقراً دائماً له؛ وذلك إيماناً منه بأنه لا سبيل للقضاء على النزاعات المذهبية - بما تخلفه من عداوة وبغضاء وكراهية بين المسلمين - سوى الحوار الذي يستهدف صياغة أشمل للعيش المشترك ومنهجيات للتفاهم والتعاون بين مختلف مؤسساتهم ومرجعياتهم الدينية والروحية، وهي رؤية عميقة تنطلق من وعي ثقافي وحضاري في فهم أحداث التاريخ والتعمق في استيعاب أسباب الاختلاف؛ التي تم تحويلها من أحداث تاريخية لاستلهام الدروس والعبر، والبحث عن مساحات مشتركة تقرب ولا تفرق، وتمنع تكريس الطائفية البغيضة، وتعترف بالخلاف في الرأي دون الوصول إلى درجة الاختلاف، إلى اتخاذها مبرراً للاقتتال المذهبي، وسفك دماء المسلمين على أيدي بعضهم البعض وتفكيك وحدة المجتمع وتمزيق نسيجه الوطني المتداخل.

ولا شك أن دعوة خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله)، التي طرحت في وقت شهدت فيه الأمة انقساماً طائفياً ومذهبياً خطيراً، لا بين دولها وشعوبها فحسب، ولكن داخل الدولة الواحدة وبين أبناء الشعب الواحد مهددّة النسيج الوطني لتلك الشعوب والدول؛ كانت السبيل الأمثل للقضاء على أعمال العنف الدموي التي تعاني منها الشعوب والأقطار الإسلامية، ولذلك لقيت دعوة خادم الحرمين الشريفين استحساناً من الدول الـ (٥٧) التي شاركت في المؤتمر، حيث أجمعت على أهميتها، وحاجة الأمة الإسلامية إليها، خصوصاً بعد نجاح جهود خادم الحرمين الشريفين في إطلاق الحوار والتفاهم بين أتباع الأديان والثقافات المختلفة، والتي أسفرت عن تأسيس مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لحوار الأديان الذي أشرنا إليه آنفاً.

وعلى الرغم من أن دعوة خادم الحرمين الشريفين لإقامة مركز

لحوار المذاهب لم تحقق النتائج المرجوّة، بسبب سلوك إيران المعادي وتدخلها سياسياً ومذهبياً في العديد من بؤر الصراع المذهبي في الأقطار العربية التي أشرنا إليها آنفاً، الأمر الذي بدد الآمال في محاصرة الصراع المذهبي، إلاّ أن دعوة خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) لابد وأن تنتصر لتوافقها مع الفطر السويّة والمشاعر الإنسانية والمقاصد الشرعية الصحيحة التي يدعو لها الإسلام، فضلاً عن حاجة المجتمعات العربية والإسلامية الماسة إليها لوقف نزيف الدماء المسلمة بأيدي مسلمين في دول مسلمة!

وقد لقيت جهود خادم الحرمين الشريفين في مجال التنمية الثقافية والحضارية على المستويين الداخلي

الملك عبد الله بن عبد العزيز

والخارجي تقدير المراكز الثقافية والفكرية، الإقليمية منها والدولية، والتي كان آخرها اختياره (يرحمه الله) ليكون الشخصية الثقافية لعام ٢٠١٤م من قبل القائمين على (جائزة الشيخ جابر للكتاب) بدولة الإمارات، تقديراً لإسهاماته الثقافية والفكرية والإنسانية والعلمية الكبرى، ولبصمته الفريدة في الواقع العربي والإسلامي والعالمي، عبر جهوده الحثيثة لنشر روح التسامح والتفاهم والتعاون بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات، التي امتدت إشعاعاتها في ظل قيادته الحكيمة إلى ربوع الأرض.

ونختم هذا المبحث بكلمات مضيئة لخادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله)، تعكس قناعته الإيمانية ورؤيته الفكرية لدور الأمة العربية والإسلامية بين الأمم، وتفسر لنا دوافع حرصه الشديد وسعيه الحثيث لإنجاز ما تم إنجازه من مشاريع ثقافية وحضارية في الداخل والخارج، حيث يقول (يرحمه الله):

«نحن نريد لأمتنا أن تكون أمة حضارة لا أمة مدنيّة، ففي المدنيّة تطغى السلبيات على الإيجابيات، أما في الحضارة ، فتنفي الإيجابيات كل سلبية؛ لذلك فالأمة الحضارية هي دائماً أمة معطاءة للتراث الإنساني، لا أمة مبددة لهذا التراث .. ويجب أن نفطن إلى استبدال النخوة بالنفعية، واعتبار الشهامة والكرامة أموراً تدخل في باب الموازنة بين الأرباح والخسائر .. وقد وجدنا في العقيدة أفضل ما يصون تلك الفضائل وينفي سلبيات المجتمع، ويحافظ للأمة على رسالتها الحضارية، من خلال المحافظة على جوهرها الذي وصفه العزيز الحكيم حين قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)».

رجل المواقف الإنسانية

حققت المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) المركز الأول في تقديم العون والمساعدة للدول والشعوب التي تعرضت لنكبات أو كوارث أو أزمات جراء تضررها من الزلازل أو البراكين أو الفيضانات أو التصحر والجفاف أو الجليد.. أو غير ذلك.

وعلى عكس المتعارف عليه لدى الكثير من الدول التي تربط تقديم المساعدات في مثل هذه الظروف المفاجئة بالعلاقات السياسية أو المصالح الاقتصادية أو التوافق الأيديولوجي أو الديني أو المذهبي أو العرقي أو غيره، فإن المملكة هي الدولة الوحيدة التي لا تقيم وزناً لهذه الاعتبارات، لانطلاقها من عقيدة وشريعة إسلامية سمحاء تجعل إغاثة الملهوف ودعم المحتاج ومساعدة المنكوب من شُعب الإيمان، الموجبة للأجر والثواب الجزيل لمن قدم العون لكل ذي كبد رطبة، بغض النظر عن جنسه ولونه وعرقه ودينه ... وغير ذلك من الأمور التي يختلف فيها البشر؛ بل ويبلغ الإسلام قمة سموه عندما يوجب للمسلم هذا الأجر حتى ولو لم يكن المستفيد من بني الإنسان، وإنما من عالم الحيوان، وفقاً لما جاء في السنة النبوية المعصومة من أحاديث تؤكد ذلك وتدعو إليه.

بهذه الرؤية الإسلامية السامية النقية، اختطت المملكة ـ منذ تأسيسها وحتى يومها الحاضر ـ نهجاً مميزاً ورسمت صورة مختلفة للعمل الإغاثي والمساعدات الإنسانية، وقد ضرب فقيد الأمة، بل فقيد الإنسانية جمعاء، خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه

الله) المثل والقدوة في هذا الشأن، فكم أصدر من توجيهات وأوامر وقرارات، وكم سيَّر من قوافل وجسور ومسيرات ـ جوية وبرية وبحرية ـ لدعم المنكوبين في عشرات دول العالم، حتى أضحت المملكة في عهده الزاهر تحتل المركز الأول عالمياً في العمل الإغاثي والمساعدات الإنسانية، وتقدَّمت على دول كبرى ـ تماثل المملكة ثراءً، بل قد تفوقها ـ في نسبة ما تنفقه من إجمالي دخلها القومي على الأعمال الإغاثية، حيث تخصص المملكة ـ وفقاً لشهادة الأمم المتحدة ـ ما نسبته (٥,١٩) ٪ من قيمة اقتصادها لصناديق المساعدات الإنسانية، مما يعني أن المملكة لم تتقدم في مجال المساعدات الإنسانية على الولايات المتحدة وحسب، بكونها المتبرع الأكبر فيما يتعلق بنسبة

الناتج المحلي، بل أيضاً تقدمت على الدول الأوروبيـــة.

ووفقاً للتقارير التي صدرت في هذا الشأن، فإن المملكة تغطي في مجال المساعدات الإنسانية أكثر من ٧٠٪ من دول العالم، حيث قدمت خلال السنوات القليلة الماضية (١٣٦) بليون دولار مساعدات للدول النامية، و(٣,٥٨٦) مليون ريال إعانات لمكافحة الجفاف ومساعدات درء الكوارث، و(٢,٩٨٠) مليون ريال لتعزيز التكافل الاجتماعي بين المسلمين، و(٦١٨) مليون ريال لسبع دول إفريقية أصابتها الكوارث، و(٨٥٠) مليون ريال لدول إسلامية آسيوية.. وقدمت مساعدات عاجلة وملحّة لـ(٤٣) دولة من الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي، و(٣٤) دولة إسلامية في إفريقيا. وبلغت المساعدات غير المستردة والقروض الميسرة التي قدمتها المملكة لتنفيذ عديد من البرامج والمشروعات التنموية الاقتصادية والاجتماعية في (٣٥) دولة إسلامية (٧٧) ألف مليون ريال.

وتتميز المملكة في دعمها للمأزومين والمنكوبين بأنها لا تنتظر حتى تطلب منها الدول المتضررة المساعدة، بل تهرع على الفور إلى تقديمها من تلقاء نفسها، لإنقاذ من يمكن إنقاذه من الناجين من الكوارث، ومعالجة ما خلّفته من تبعات.

وعلى الرغم من الأولوية التي تعطيها المملكة لدول الجوار والدول العربية والإسلامية تطبقاً للمبدأ الإسلامي (الأقربون أولى بالمعروف)، إلا أن ذلك لم يمنع من وصول المساعدات السعودية للدول المنكوبة أياً كان موقعها على خريطة العالم؛ فعندما تعرضت الصين في ١٢ مايو ٢٠٠٨ م إلى الزلزال ـ الذي ضرب مقاطعة سيشوان جنوب

غرب جمهورية الصين الشعبية، وأدى إلى قتل ما يزيد على (٥٠,٠٠٠) شخص، حسب مصادر حكومية صينية، وقدرت خسائره المادية بما يزيد على (١٦) مليار دولار ـ بادرت المملكة إلى تقديم المساعدة العاجلة للصينيين عبر مد جسر إغاثي لنقل المساعدات العينية، فضلاً عن تقديم تبرع مالي تجاوز المئة مليون دولار، مما جعل المملكة أكبر الدول مساعدة للصين في كارثتها، باعتراف الصين نفسها، التي قدمت شكرها على أعلى مستوى لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) لما أبدته المملكة من موقف إنساني نبيل، وما قدمته من مساعدات عينية ومالية كبيرة، أشاد بها الإعلام الصيني بجميع قنواته المتلفزة تحت عنوان: «السعودية: الصديق وقت الضيق».

وكان لهذا الموقف النبيل من المملكة دوره في توطيد العلاقات بين البلدين، حيث وافقت الصين على إقامة مكتبة الملك عبد العزيز في بكين كمرجع للباحثين عمَّا يسعون إلى معرفته من معلومات عن المملكة وعن الدين الإسلامي بشكل عام، في وقت كانت ترفض فيه الصين مثل هذا التوغل الثقافي، واستثنت المملكة تقديراً لوقفتها الصادقة مع شعبها المتضرر.

وعندما تعرضت ولاية تاباسكو بالمكسيك في أغسطس ٢٠٠٨م لكارثة الفيضانات، التي تركت آثارها المدمرة على الولايـة، بادر خادم الحرمين الشريفـين (يرحمه الله) إلى تقديم هبة قدرهـا مليوني دولار أمريـكي، وذلك للتخفيف من آثار كارثة الفيضانات التي اجتاحت الولاية؛ وقد استغلت هذه المنحة في شراء آلات ومعدات زراعية سُلِّمت لأهالي الولاية، في حفل رسمي حضره حاكم ولاية تاباسكو، وشارك فيه

سفير خادم الحرمين الشريفين لدى الولايات المتحدة المكسيكية الأستاذ منير إبراهيم بنجابي؛ وقد ألقى حاكم الولاية المهندس (غرانير) كلمة بهذه المناسبة، أعرب فيها عن عميق شكره للمبادرة الإنسانية التي مثلت أصدق معاني التضامن مع شعب تاباسكو، متمنياً أن يتم إبلاغ القيادة السعودية والشعب السعودي عن امتنان عشرات الآلاف من الفلاحين المكسيكيين لهذه اللفتة الكريمة، والتي ستمكنهم من الوقوف مرة أخرى ومتابعة حياتهم.

وقد أعلنت الصحف المكسيكية ـ حينها ـ عن أنها قد تفاجأت بتواجد دولة إسلامية لمساعدتهم، ظنّا منهم أن المسلمين لا يهتمون بالمواقف الإنسانية، وهي القناعة التي استطاعت المملكة ـ

الملك عبد الله بن عبد العزيز

بتلك المساعدات ـ أن تغيرها عن الإسلام والمسلمين، ولا شك أن التعريف بالإسلام ونبل رسالته السامية هو أكبر المكاسب التي تحققها المملكة عبر تلك المساعدات.

وعندما تعرضت البرازيل لسلسلة من الفيضانات والانزلاقات الطينية، التي حدثت في شهر يناير من عام ٢٠١١م في عدة مناطق جبلية، في الولاية البرازيلية (ريو دي جانيرو)، وتسببت في مقتل مئات الأشخاص، واعتبرت الكارثة الطبيعية الأسوأ في تاريخ البرازيل، سارعت المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (يرحمه الله) تمد يد العون والمساعدة للمنكوبين والمتضررين؛ وتقديراً من الشعب البرازيلي لمملكة الإنسانية على مساعدتها لمتضرري الفيضانات في البرازيل، أرسلت ـ آنذاك ـ وفداً من أبناء المستفيدين من المساعدات السعودية إلى المملكة لمقابلة خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) وتقديم الشكر له باسم أسرهم وحكومتهم وشعبهم.

هذه نماذج لمساعدات المملكة للمنكوبين والمأزومين من الدول والشعوب غير الإسلامية في عهد الفقيد (يرحمه الله) وهي تعكس مدى ما كان يتمتع به من إنسانية راقية، تسمو على التعصب الديني أو العرقي أو غيرهما من العنصريات البغيضة، وهو ما جعله يستحق بحق لقب: (ملك الإنسانية) وجعل المملكة في عهده (يرحمه الله) مستحقة للقب: (مملكة الإنسانية).

أما مساعداته للدول والشعوب العربية والإسلامية في كوارثها وأزماتها، فله شأن آخر، حيث لم يكن خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز، وجميع من سبقه من قادة المملكة وصولاً للعاهل المؤسس (يرحمهم الله جميعاً) يعتبرون ما يقدم للأشقاء في الدول العربية والإسلامية في مثل تلك الظروف مساعدات أو معونات، وإنما هي واجبات على المملكة وحقوق مستحقة لتلك الدول من دولة شقيقة؛ وكثيراً ما عبر قادة المملكة عن هذا المعنى النبيل والمفهوم السامي، ولنذكر من ذلك ما صرح به خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (يرحمه الله) وهو يعلن ـ في قمة التضامن مع غزة التي عقدت في الكويت يوم ٢٢ / ١ / ١٤٣٠هـ، الموافق ١٩ /١ / ٢٠٠٩م ـ عن تقديم مبلغ ألف مليون دولار من المملكة للبرنامج المقترح من القمة لإعادة إعمار غزة، حيث عقب على ما قدمته المملكة للبرنامج بقوله: « إن قطرة دم واحدة من الدم الفلسطيني أغنى من كنوز الأرض».

وتأسيساً على تلك القناعة لم تكن كارثة أو أزمة تمر على أي من الدول العربية والإسلامية ـ منذ تأسيس المملكة وحتى وفاة فقيد الأمة الملك عبد الله (يرحمه الله) ـ إلا كانت المملكة في رأس قائمة المساندين والداعمين؛ وحسبنا أن نشير هنا إلى موقف المملكة من الأزمات والكوارث التي تعرضت لها بعض الدول العربية والإسلامية في عهد الفقيد، وموقفه (يرحمه الله) منها:

عندما تعرضت جمهورية باكستان الإسلامية لزلزال في رمضان ١٤٢٦هـ، أمر (يرحمه الله) على الفور بتشغيل جسر جوي من الطائرات السعودية التي حملت على متنها المتطلبات اللازمة لمواجهة الأزمة من أطباء وأدوية وخيام وبطانيات ومواد غذائية لتلبية احتياجات المتضررين من الزلزال؛ كما أمر (يرحمه الله) بصرف خمسمئة مليون ريال لإعادة إعمار بعض منشآت البنية

الأساسية من مستشفيات ومدارس وطرق، فضلاً عن أمره بتنظيم حملة شعبية لصالح منكوبي الزلزال، وقد افتتحها (يرحمه الله) بتبرع قدره عشرة ملايين ريال.

وعندما تعرضت لبنان للعدوان الإسرئيلي الغاشم سنة ٢٠٠٦م، كان خادم الحرمين (يرحمه الله) أول المؤازرين للشعب والحكومية اللبنانية، وقد أشرنا في موضع سابق إلى ما قدمته المملكة للشعب اللبناني الشقيق آنذاك. أما ما قدمته للشعب الفلسطيني فأكثر من أن يُحصر في هذه العجالة، نظراً لتعرض الأخوة الفلسطينيين - وبخاصة في قطاع غزة - للعدوان المتواصل والحملات

الملك عبد الله بن عبد العزيز

العسكرية المتتابعة التي تستهدف إعادة تدمير البنية التحتية للقطاع عند إعادة إعمارها عقب الاعتداءات.

وعندما حلت الأزمة الاقتصادية العالمية التي أثرت في الدول الفقيرة ـ وخصوصا دول أفريقيا ـ أعلن خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) عن تقديم (٧٠٠) مليون دولار لدعم الدول الفقيرة بمشاريع إنتاجية تساعدها في مواجهة الفقر والاكتفاء الداخلي، من خلال استفادة مواطني تلك الدول ماديا وسد حاجتهم بالعمل في هذه المشاريع عبر برنامج الغذاء العالمي التابع لمنظمة الأمم المتحدة، الذي أعلن في حينه عن احتلال المملكة المركز الأول عالميا في دعم الفقراء ومتضرري الكوارث الطبيعية وأشاد بشفافية العمل الإنساني السعودي الذي يخلو من أية اشتراطات مصالحية.

وعندما تعرضت اليمن ـ في ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٨م ـ لسيول شديدة تسببت في مقتل (٦٥) وتشريد ما يقارب (٢٠,٠٠٠) يمني لم يعد لهم مأوى بعد أن دمرت السيول بيوتهم، وخصوصاً في محافظات: حضرموت ـ وكانت أكثر المحافظات تأثراً، فضلاً عن أن معظم القتلى كانوا منها ـ ولحج، والمهرة، و تعز ـ وجه خادم الحرمين الشريفين (يرحمه الله) بتسيير جسر إغاثي جوي، وجسر بري لمساندة متضرري فيضانات حضرموت، إضافة إلى اعتماد دعم مالي لإعادة إعمار المباني والمدارس والمساجد المتهدمة .

ومنذ تعرُّض الشعب السوري لعمليات الإبادة والتهجير من قبل قيادته الغاشمة، والمملكة تقف مساندة له في محنته بكافة أنواع الدعم؛ فبناء على توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (يرحمه

الله)، تم إطلاق مبادرة: «نلبي النداء»، وهي حملة وطنية سعودية التي تتولى مساندة الشعب السوري في محنته، عبر مشاريعها الإنسانية، التي بلغت أكثر من (٣٤) مشروعاً متنوعا لخدمة اللاجئين السوريين في الأردن ولبنان وتركيا، وسيِّرت (٦) حملات برية وأخرى بحرية لمساعدة اللاجئين السوريين في الأردن والنازحين، ومؤازرتهم لمواجهة الظروف القاسية التي يعيشونها، حيث أصبح أكثر من (٤) ملايين سوري بلا مأوى نازحين في الداخل، ونحو (٣) ملايين لاجئين في الخارج يواجهون البرد القارس والأمراض المعدية. وتشتمل الإعانات المقدمة لهم: أدوية ومستلزمات صحية، ومخابز وطحيناً، وطعاماً وغذاء متنوعاً، وملابس شتوية، وبطانيات ومستلزمات النوم ومولدات كهربائية.

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن مساعدة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) للمأزومين والمنكوبين لم تكن تقتصر على الدول والشعوب فحسب، بل كانت تشمل الأفراد المبتلين بأزمات ونكبات خاصة، وعجزوا عن مواجهتها لعدم قدرتهم على الوفاء بمتطلباتها، ومن ذلك عمليات فصل التوائم الملتصقة، التي تمثل لأسر تلك التوائم هماً دائماً وحزناً لا يزول حين يرون فلذات أكبادهم عاجزين عن الحركة الطبيعية لالتصاقهم ببعضهم البعض، واليأس من فصل هذا الالتصاق، لارتفاع تكلفة عملياته الجراحية بصورة تعجز عن توفيرها أسرهم، بل ودولهم؛ وهو الأمر الذي تصدَّى له خادم الحرمين (يرحمه الله) بدافع من إنسانيته وشفقته التي لم تكن تتحمل مشاهدة هذه المعاناة، سواء للأطفال

الملتصقة أو لأهليهم، وبدافع من دينه الذي يحض على بذل الخير وتفريج كرب الناس متى وجد السبيل إلى ذلك؛ فكان (يرحمه الله) يأمر بتوجيه الدعوة لأسر تلك الأطفال لتحضر إلى المملكة وتبادر إلى إعداد الفحوصات اللازمة لإجراء عمليات الفصل، ما لم يكن هناك ما يحول دون ذلك من أسباب طبية. وكان (يرحمه الله) يتكفل بكافة تكاليف هذه العمليات وذلك من نفقته الخاصة.

وقد أجريت في عهده العديد من تلك العمليات الجراحية المعقدة، التي منحت المملكة العربية السعودية بعامة، ومدينة الملك عبد العزيز الطبية بالحرس الوطني بخاصة، شهرة عالمية في هذا النوع من الجراحات الدقيقة.

خاتمة

«إنني أدعو اليوم كافة أبناء هذه الأمة، شعوباً وقادة، لتوحيد الصف والجهد وتكريس الإمكانات لتحقيق الخلاص .. ولنعلم أن التاريخ لا يرحم، والأجيال لا تعذر.. وإننا جميعاً ذاهبون؛ فلكل أجل كتاب، ولكل عمل كريم ثواب، ولكل نبأ مستقر».

«إن الرجال يمضون، أما أعمالهم فتبقى؛ وحسبنا أن نسير على ضوء عقيدتنا، وأن نمضي بدون يأس أو غرور، وحسبنا شرف الكفاح والصمود».

بهذا الإيمان واليقين عاش فقيد الأمة، بل فقيد العالم أجمع، خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز(يرحمه الله)، يعمل (بدون يأس أو غرور) من أجل طاعة ربه، ثم رفعة شعبه ووطنه وأمته، مسجلاً للأجيال الحالية والقادمة أشرف وأكمل صور (الكفاح والصمود) التي ينبغي أن يكون عليها القائد المسلم طيلة حياته إلى أن ينتهي أجله، تاركاً سيرته ومسيرته للتاريخ وللأجيال لكي تقوّمها وتحكم عليها.

ولا شك أن اطلاعنا على مسيرته العطرة، ومتابعتنا لمسيرته الموفقة التي قطعها على طريق الحياة، قد أبانت لنا بوضح تام، كيف كان خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (يرحمه الله) مشغولاً بتحقيق الرفاهية لشعبه، عبر توفير مقوماتها: الاجتماعية، والصحية، والتعليمية، والأمنية، والحقوقية، والثقافية، والحضارية ... وغيرها؛ ومهتماً بارتقاء وطنه وتقدمه وازدهاره واستقراره؛ وكيف كان (يرحمه الله) مهموماً بوحدة أمته، وتضامن شعوبها، واسترداد حقوقها، ونفي ما يلصق بها وبدينها من افتراءات وأكاذيب؛ وكيف كان (يرحمه الله) يسعى إلى التقريب بين الأديان والثقافات، أملاً في تحقيق عالم أكثر أمناً وسلاماً، وتفاهماً وانسجاماً، تسوده روح التعاون بين بني البشر، لتحقيق السعادة والمنفعة لكل إنسان يعيش على كوكب الأرض... إلى غير ذلك من الأمور الهامة والطموحات النبيلة، التي كرَّس لها حياته وأفنى فيها عمره؛ مدفوعاً بثقة تامة في الله تعالى، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ثم بثقة تامة في النفس وما حباها الله تعالى من همة عالية وعزيمة ماضية وقدرة على تحمل المسؤولية وحرص على تحقيق عظائم الأمور؛ ومسترشداً برؤية صائبة وخبرة عريضة ـ في الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية والثقافية ... وغيرها ـ كوَّنتها نشأة صالحة في كنف عاهل الجزيرة العربية، وصقلتها سنوات طوال من العمل المتواصل في مواقع قيادية هامة وحساسة في الدولة، وصولا إلى قمة الهرم القيادي؛ ومحاطاً بشعب محب ومخلص ووفي لقائده...

إن ذلك كله يجعلنا نشعر بأننا قد فقدنا شخصية استثنائية، وقيادة تاريخية، سجَّلت اسمها في سجِّل عظماء القادة الذين عرفتهم البشرية على مدى تاريخها الطويل.

وإذا كانت سنة الموت لا تستثني أحداً، فإن سنة الاقتداء والتأسي لا ترتبط بوجود من يُقتَدى ويُتأسى بهم بيننا بذواتهم وشخوصهم، بل تكفي سيرهم ومسيراتهم وإنجازاتهم لتذكرنا بهم، وتجعلنا نحذو حذوهم، وهذا ما جعلنا نطالع سيرة خادم الحرمين الملك عبدالله بن عبد العزيز ونتتبع مسيرته، ونسجلها للأجيال القادمة لتتعلم منها كيف يكون الإخلاص في الأداء والسخاء في العطاء ...

رحم الله خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وأسكنه فسيح جناته، وجزاه الله على كل ما قدمه لشعبه ووطنه وأمته العربية والإسلامية، ولكثير من شعوب العالم خيرالجزاء.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

بريشة الفنان السعودي: أحمد زهير

الملك عبد الله بن عبد العزيز

The Daily Telegraph

Under a simple grave of stones, one of the world's most powerful men is laid to rest

الديلي تلغراف:

«هذا القبر البسيط يضم أحد أقوى رجال العالم... كان شخصاً صريحاً وشجاعاً»

تحت هذا العنوان قالت صحيفة «الديلي تلغراف» البريطانية: «إن الملك الراحل قد يكون واحداً من أغنى وأقوى الشخصيات العالمية، غير أنه رقد في قبر بسيط من الحصى، في تقليد ينأى عن التكلّف». وأشارت إلى أنه بالتزامن مع الحِداد، كان هناك انتقال سريع وسلس للسلطة في المملكة العربية السعودية.

سيرة عطرة ومسيرة موفقة

لا تنسوني من دعائكم